

جريمة أب

حازم خليفة

اسم الكتاب : جريمة أ ب (رواية)

اسم الكاتب : حازم خليفة

رقم الإيداع : ٢٠١٥/١٤٤٢٤

الترقيم الدولي : 9789776527126

الطبعة الأولى : ٢٠١٥

مراجعة لغوية ، وإخراج : هيام فهميم

صاور عن : مؤسسة زحمة كُتّاب للثقافة والنشر

١٥ ش السباق - مول المريللندر - مصر الجديدة



www.za7ma-kotab.com



www.facebook.com/za7ma



www.facebook.com/za7makotab



za7ma-kotab@hotmail.com

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لمؤسسة زحمة كُتّاب للثقافة والنشر

المشهرة قانوناً بسجل تجاري رقم / ٨٤٤٨٦



مؤسسة زحمة كُتّاب للثقافة والنشر

إهداء



إلى من حملتني بالمشقة والألم، وعلمتني كيف أنطق
الكلم، وكيف أمسك القلم، وأن أحب المظلوم وأكره من
له ظلم .. أمي الحبيبة، أهدي إليك هذا العمل الأدبي.

كـ .. ابنك (المحب) / حازم خليفة

في صبيحة أحد أيام شهر رمضان الكريم الذي وافق شهر يوليو من العام نفسه، استيقظت عزبة الزعفراني على خبر رهيب، أفزع أهالي القرية الصغيرة، وألقى عليهم ظلاله السوداء من الألم الممزوج بالقلق، ولم تفلح نسائم الصباح العطرة ونفحات الشهر الفضيل في تهدئة مشاعرهم التي التهمت بتلك المصيبة، مصيبة وفاة كبير القرية الدكتور أدهم عبد الحميد، واكتشاف جثته متعفنة في الشقة التي يتخذها استراحة بعمارة الزعفراني الكائنة بالإسكندرية - حي سيدي بشر، تلك العمارة المكونة من عشر شقق تؤجر جميعها مفروشة للطلبة طوال العام الدراسي، وتؤجر كمصيف باقي شهور السنة، كبيرهم الذي طال انتظارهم وترقبهم لوصوله منذ سفره في رحلته الأخيرة إلى الصين، حتى وصلهم الخبر المشئوم عندما اتصل محمود الصباغ مدير مصنع الزعفراني لمواد البناء بالعامرية، ليبلغهم بما اكتشفه حين جاءه اتصال من الصين على هاتف المصنع للإبلاغ عن موعد وصول المعدات التي تعاقد عليها أدهم لتطوير المصنع، ليفاجأ بأن المرحوم وصل من الصين منذ فترة، فأسرع يسابق الخطى ويطوي الشوارع، ويسابقه العاملون بالمصنع كلٌ منهم على قدر وسيلته إلى الشقة التي اعتاد المرحوم الإقامة فيها كلما احتاج لمتابعة العمل بالمصنع ليفاجئوا بالمنظر البشع،

وما إن وصل الخبر للقرية حتى ارتفعت أصوات النحيب والبكاء، واختفت تحية الصباح لتحل محلها عبارات التعزية والمواساة، وكان يوماً عقيم الرياح فبدت الأشجار راسخة متحجرة، تتدلى أغصانها كجسد معلق على منصة الإعدام، وتغير صوت الغدير المعلوم وكأنه نحيبٌ مكتوم، وحبست البهائم أنفاسها التقليدية وبدا صوتها كأنين السقيم الذي لا ينتظر الشفاء، وكان رد فعل أهل القرية طبيعياً بعد وفاة عائلهم وكبيرهم والمسئول الأوحد عن إدارة جميع مصالح القرية، فاستبد بهم القلق على مصالحهم، وزاغت أبصارهم، وتزلزلت الأرض من تحتهم وهم يرون مصيرهم على المحكّ، وزاد من هول الفاجعة أنه توفي بهذه الصورة البشعة، الغريب في الأمر أن مالك العزبة الحقيقي كان شاباً يدعى شاهين، ذلك الفتى غريب الأطوار الذي بدا كحالة إنسانية نادرة.

فهذا الشاهين هو الابن الوحيد والوريث المنفرد لأملاك والده المليونيّر حامد الزعفراني - صاحب العزبة ومُنشؤها، ذلك الرجل العصامي الذي ولد لأسرة فقيرة معدمة، فقد كان والده خليل الزعفراني ابن كفر هورين محافظة المنوفية، فلاحاً فقيراً لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، ويكسب قوت يومه من العمل لدى أصحاب الأراضي في أعمال الزراعة، كنفر باليومية يعمل يوماً ويجوع أياماً، وإذا صادف العمل فإنه يقضي معظم

النهار تحت الشمس المحرقة واقفًا أو منحنيًا للغرس أو الحرث، أو غيرهما من متطلبات الزراعة، متلهفًا غروب الشمس ليللم قروشه الزهيدة التي تسد بعضًا من جوع زوجته وأولاده الخمسة، أولاده الذين استطاعت أجسامهم الصغيرة مكابدة أيام الفاقة، وليالي الحاجة، تاركين في طريقهم ثلاثة أطفال آخرين رحلوا جميعًا عن الحياة وسقطت أجسادهم الضعيفة أمام وحش الفقر ومعاونيه الجوع والمرض قبل أن يتم أحدهم عامه الثاني.

وكان حامد أقرب الأولاد شبهًا بأبيه، فورث عنه جسده الضخم وعضلاته المقتولة، لكنه كان طموحًا ومحبًا للمغامرة فرحل عن القرية مهاجرًا إلى العاصمة للبحث عن فرصة أفضل، وقد كانت رحلته شاقه مليئة بالمتاعب والأهوال في بدايتها، إذ بدأ حياته عاملاً للبناء معتمدًا على بنيانه الجسماني القوي، ورغم أنه لم ينل حظًا من التعليم إلا أنه كان متوقد الذكاء حاضر الذهن وسريع التصرف والحركة، لا يهدأ ولا يتكاسل عن العمل في أي وقت من ليل أو نهار، ولا يضيع أية فرصة لكسب المزيد من المال مهما كانت المهمة صعبة أو كان المقابل زهيدًا.

وقد عُرف بقامته الطويلة، ورأسه الضخم، وعينييه الكبيرتين، وأكتافه البارزة بوضوح تحت جلبابه البلدي

الذي يُفصح عن أصله الريفى ويتفق مع لهجته القروية، كذلك بدا الارتقاء العصبى فى جفنه الأيمن لافتًا للنظر حين يبدو ناعسًا لا يهتز أو يتحرك مع حركة عينيه، ولا يتفاعل مع انفعالاته أو حماسه فى الحوار الذى يغلبه أحيانًا بصوته الخشن الجمهورى، كما كان يجيد معسول الكلام ويعرف متى وكيف يختار موضوعات الحديث التى كانت محببة لسامعيه فى غالب الأحيان، وخاصة إذا ما استعان بما يحفظه من الأقوال المأثورة والمتداولة فى ثقافة الريف، والتى يكسوها طابع التدين والزهد، مما يمنح صاحبها وقارًا فى القلوب حين يبدو خاشع القلب، صافى النفس، حتى لو لم تكن أعماقه تستحق نفس القدر من الثقة.

واستمر الحال على هذا النحو لسنوات وحامد ينتقل من عمل إلى آخر حتى التحق بالعمل لدى أحد كبار المقاولين وهو الحاج سعيد عبد الباقي ذلك الرجل واسع الثراء ذائع الصيت فى سوق العقارات، واستطاع حامد خلال فترة بسيطة أن يتقرب إلى صاحب العمل ويكون أثرًا لديه، فقد اجتهد فوق نشاطه ومثابرته على أداء أي عمل يوكل إليه فى صناعة المواقف التى تؤدي إلى اكتساب ثقته ورضاه، وبالفعل لم تمض بضعة شهور حتى أصبح حامد رئيسًا للعمال بل وصديقًا مقربًا للحاج سعيد وكاتم أسرارهم ومحل ثقته.

ومرت السنون وحامد يواصل مسيرته صابراً على أداء دور الخادم الأمين المجتهد والتابع المخلص القانع بما يلقيه إليه سيده من جنيهاً، دون أن يطلب أي زيادة مهما زاد عليه العمل، ويزيد على ذلك بأن يرفض زيادة راتبه بحجة الحفاظ على السيولة وعلى مصالح الحاج قائلًا:

- مستورة يا حاج والله .. ومتنعمين في خيرك، ربنا يزيدك من نعيمه.

وكان الحاج يضع بين يديه الكثير من الأموال فيحفظها ويحرص بشدة في إنفاقها، حتى جاء يوم مرض الحاج سعيد مرضاً شديداً، ونصحته الأطباء بسرعة إجراء عملية جراحية في القلب، واستدعى حامد إلى منزله ..
الحاج سعيد:

- أهلاً يا حامد، ازيك.

حامد:

- ألف لا بأس عليك يا حاج، والله والله الشركة والمواقع كلها كأنها فاضية وضلعة من غيرك، والله أنا لسانى ما بيبطل دعا .. ربنا يشفيك ويقومك لينا بالسلامة.
- فيك الخير .. أنت ابن حلال يا حامد، وراجل بجد.

- كلنا خدامينك يا حاج وفي حمايتك.
- اسمعني ..
- أو مرني ..
- فيلا المهندسين، بتاعة الدكتور برهان عارفها؟
- مالها يا حاج ؟
- معاد تسليمها بكره.
- جاهزة يا حاج وكله تمام بأمر الله.
- والدكتور مسافر بعد بكره انجلترا، أنا عاوزك
- تحضر معاه التسليم وتروح معاه البنك، ها يسحب
- بقية المبلغ بتاع الفيلا .. المليون جنيه، تاخدهم
- وتطلع على المعلم سالم المرشدي، عارفه؟
- ايوه .. بتاع باب الشعرية.
- تمام .. تدفعهم له ثمن الأسمنت اللي ها يتشون
- بكره في مخزن الدراسة .. فهمت؟
- يعلق حامد بإيماءة من رأسه ..
- وتروح تستلم الأسمنت وتشوونه بمعرفتك، أنا مش
- عايز قلق ولا فرطقة في المواعيد والشغل.
- ما تخافش يا حاج .. كلنا خدامينك، وشاربين منك،
- دي الناس كلها بتضرب المثل بمواعيدك
- المضبوطة .. ما تخافش أبدًا، كل اللي عايزينه
- إنك تخلي بالك أنت من الحاج سعيد ... أحسن ده
- غالي عندنا قوي.

يضحك سعيد، ثم يعتدل في فراشه كمن يتأهب للحركة فيبادره حامد بحركة تلقائية مادًا يده ليخلع عن الحاج الروب دي شامبر الذي كان يرتديه فوق بيجامته الزرقاء، فعلق الحاج بابتسامة رضا تتم عن امتنانه وسعادته بعامله الذكي الذي طالما أدهشه بسرعة بديهته ولباقته في التصرف، ثم خلع نظارته المعدنية واعتدل مستعدًا للنوم.

- تؤمرني بحاجة تاني يا حاج؟
- شكرًا يا حامد .. أشوفك على خير ومش عايزك تشغل بالك بيا .. ولا تيجي المستشفى .. متابعتك للشغل هي اللي ها تريحني أكثر.
- بس يعني ..
- وبعدين !!!
- أمرك يا حاج .. سلام عليكم.
- وعلیکم السلام ورحمة الله وبركاته.

وفي اليوم التالي نفذ حامد تعليمات صاحب العمل بدقة شديدة حتى خرج من باب البنك، وهناك تغيرت وجهته فبدلاً من التوجه إلى باب الشعرية ذهب إلى محطة القطار مستقلاً القطار المتجه إلى السلوم على الحدود الغربية، وهناك عبر الحدود إلى ليبيا، ومنها إلى إيطاليا بحرًا عبر مركب صغير مع أحد الجماعات المتخصصة في تهريب المهاجرين إلى أوروبا.

أما الحاج سعيد فقد توفي أثناء العملية لتكتمل لحامد الظروف، ويغتتم السر ويتم استيلائه على المبلغ الذي لا يعرف بأمره من مخلوقات الله غيره ..

وبالفعل استقر حامد في إيطاليا بجواز سفره الذي كان قد أعده منذ فترة منتظرًا اللحظة المناسبة التي يغفل عنه فيها صاحب المال، وبدأ حامد رحلته الجديدة في إيطاليا حيث بدأها بالعمل اليدوي في البناء الذي يجيده، وبالتدريج تعرف على عناصر ذلك السوق، وبدأ في تجارة مواد البناء وبدأ يستعمل السيولة التي حملها معه من مصر تدريجيًا وبحذر وذكاء شديدين، وبعد فترة وجيزة أصبح أحد كبار تجار مواد البناء، وكان إلى جانب تلك التجارة يستغل ما تحت يده من ثروة في شراء التحف واللوحات الأثرية النادرة، وإعادة بيعها وكان يتقن في هذا الأمر بدرجة مذهلة فتضاعفت ثروته في مدة قصيرة، وازدادت شهرته كأحد كبار التجار في نابولي.

وفكر حامد في الزواج، وكان قد شارف على الخمسين من عمره دون أن يفكر في الارتباط بأي فتاة طوال تلك الفترة التي كان شاغله الوحيد فيها، جمع المال وتحقيق الثروة.

والتقى حامد بالفتاة لورا، التي أحبته وتزوجته رغم أن فارق السن بينهما يزيد على عشرين عامًا.

فقد كانت لورا فتاة فقيرة يعمل والدها لدى حامد كعامل بسيط قبل وفاته التي كانت سبباً في لقائها بحامد، حيث لفت نظره وقوفها وحيدة أثناء مراسم دفن والدها، مما أثار فضوله وعرف منها أن والدها يعيش معها وحيداً في هذه المدينة، بعد أن غادر بلدته الأصلية تورينو في الشمال، هارباً بقصة حبه مع أمها التي تزوجها ورزقهما الله بابنتهما الوحيدة لورا التي عاشت وحيدة، لا تجد حولها سوى أمها التي لا تفارقها في ساعة من ليل أو نهار إلا بالكاد ساعات الدراسة، فما إن تعود للمنزل حتى تتلقفها أمها حانية بلهفة واعتناء، وكأنها تعيد على مسامعها قصتهما المتكررة أن تلك هي الحياة نحيها منفردين، تكتفي إحداها بالأخرى، معتادين على غياب الأب الذي كانت ظروف عمله تضطره إلى الغياب عن المنزل لأيام، وربما لأسابيع وراء عمله المتنقل دائماً، وظلت حياتهما هكذا حتى توفيت والدتها وهي في الخامسة عشرة من عمرها، وتركتها وحيدة تماماً.

وحيدةً تواجه الحياة بشخصية بريئة كالطفل الذي لا يعرف عن مفردات الحياة وصراعاتها ما يؤمنه عواقبها، وكانت بسيطة في كل شيء .. مظهرها حتى جمالها كان من النوع العادي الذي لا يلفت الأنظار وكانت هادئة الطباع، من النوع الذي لا يشعرك بوجوده، وقد ارتبطت بحامد وفرحت بالزواج منه

طمعاً في الحياة الناعمة التي تتوقعها من ثرائه الفاحش،
متألمة تعويض الدنيا لها عما عانتها من خشونة الأيام
وبرودة الليالي.

وبالفعل تم زواجهما بسرعة، ودون توسع في مظاهر
الاحتفال، ومما ساعد على ذلك أن حامد لم يكن من
ذلك النوع من رجال المال والأعمال الذين يحتفظون
في أتون معاركهم المالية بصداقات حقيقية لا تفسدها
شهوة النجاح و سطوة المال، فهو على العكس من ذلك،
قد اعتاد على حصر علاقاته في حدود تعاملات سطحية
عابرة لا تتجاوز ارتباط المصالح، دون أي ارتباط
شخصي، وكانت لورا بدورها لا تجد حولها ثمة
أصدقاء نظراً لظروفها التي جعلتها وحيدة دون صديق
أو قريب، فاقصر الاحتفال على سهرة خاصة في أحد
النوادي الفاخرة التي يرتادها كبار الأثرياء، وبدأت
العروس في قمة السعادة في فستانها الأبيض الرائع
المصمم على شكل زهرة لوتس، عاري الكتفين، والذي
اشتراه العريس من أحد أشهر بيوت الأزياء في إيطاليا
حيث تشتهر صاحبتة بلمساتها اليدوية الفنية التي تتميز
بها أزيائها، ولقد منحت ذلك الثوب من فنونها الكثير،
فرصته بأحجار صغيرة ملونة بلون البنفسج الفاتح
كأزهار لوتس صغيرة وضعت بيد فنان مبدع، وبتوزيع
رائع بحيث لا تفسرها العين إلا إذا اقتربت ودقت لتبدو
تجاه ناظرها عن بعد وكأنها ظلال ضوئية تزيد الثوب

جمالاً وبهاءً زاده قدما المشوق انسجاماً وروعةً،
متوجاً بشعرها المعقوص على هيئة قلبين متقاطعين،
وبدا وجهها المستطيل وكأنه تحول متأثراً بابتسامتها
العريضة إلى وجه آخر أكثر استدارة، وبدت عيناها
الزرقاوتان الصغيرتان تقاومان الوجنتين البارزتين
لئلا تمنعها الابتسامة من متابعة أدق التفاصيل في
أروع ليلة مرت على عمرها القصير.

ورقست منتشية في ثوبها الواسع ذي الذيل الطويل بين
ذراعي شريكها الضخم الذي بدا متتافراً مع المشهد
وكانه حنط من الآثار المصرية يحاصر بذراعيه طفلة
مدلّهة في عشق التاريخ الفرعوني.

وبعد زواجهما اكتشفت لورا أن حلمها بالحياة الناعمة
والثراء لم يكن كافياً لتشعر بالأمان الذي افتقدته،
واكتشفت أن ضالتها كانت هي الشعور بالأمان
لا سواه، وأنها أخطأت الطريق بسعيها وراء المال
فلا تلازم بين الثراء وبين الأمان وغالباً ما افترقا
وتنافرا كأقطاب المغناطيس المتشابهة، وازداد لديها
الشعور بفقدان الأمان وأن حياتها بلا جدران حقيقية،
ذلك الإحساس الذي عذبها كثيراً في رحلة حياتها، وأن
الرجل ذو النفس الطماع والقلب المتحجر مهما بلغت
ثروته فإنه لا يملك الشعور بالأمان حتى يمنحه لمن
أراد، بينما يملكه رجل طيب القلب حسن العشرة.

وقد كان حامد تجسيدا حياَ لذلك التناقض فوق تناقض آخر أكثر غرابة، فقد كان حلو اللسان وصاحب ذوق رفيع في معاملة البشر، لكن سرعان ما يتبدد هذا الانطباع، ويسقط ذلك الغلاف المزيف بالمعاشرة المباشرة، فاكتشفت لورا أن سلوكه ذاك كان خارج المنزل فقط، فإذا دخل منزله بدا رجلاً غريب الأطوار سريع الغضب، لا يتردد في سبها لأتفه الأسباب وأحياناً كان يضربها بشدة لمجرد ملحوظة بسيطة أو لتأخرها في تلبية طلب له، أو عدم الاستجابة الفورية لأحد نداءاته عليها لأي غرض.

ولأن لورا كانت من النوع الهادئ الذي لا يبدي اعتراضاً ربما لا اعتقادها الراسخ بأنه لا يوجد من يهتم بآلامها أو يستمع لشكواها، كانت تخفي معاناتها في كثير من الأحيان، ويبدو عليها عدم التأثر بتلك التصرفات، وتخفي امتعاضها وهي تبتلع الإهانة تلو الأخرى، ولم تكن تعبر عن ذلك الغضب إلا عندما تخلو بنفسها، فتبكي لساعات متواصلة بكاءً مكتوماً ودون أن تبوح بزفرة ألم أو آهة عذاب.

ومع مرور الوقت اعتاد حامد على ذلك لكنه كان في بعض الأحيان ما يرق قلبه لها، فيبدأ في استرضائها وربما لملاطفتها، وأحياناً لحاجته لها كأنثى ترضي شهوته.

وبعد مرور فترة - حوالي عام على زواجهما، حملت لورا، وقد كان لخبر الحمل تأثيرًا كبيرًا على زوجها حامد .. بل وصل إلى حد الصدمة الشديدة .. فصرخ من شدة الفرح .. إذ لم يكن لديه أمل في استطاعته الإنجاب، وقد بلغ العقد السادس من عمره، وخطأ فيه عدة خطوات، خاصة لمن عاش مثل حياته التي أبلى معظمها في مكابدة الشقاء، ومرت سنوات عمره عبْر أيام وليالي بالغة القسوة، لا يربطه بالحياة فيها سوى غريزة البقاء، حتى حفرت الأيام بأظافرها على جسده ذكريات لا تنسى، أيام وسنوات عاشها وتدًا تطحنه النوازل وتدفعه إلى مجرى الهلاك، لتخفي معالمه وتزرعه في أرض الضحايا، ولم تفارقه تلك الذكريات إلا بعد أن تركت عليه آثار ضرباتها الشرسة، وأدمت جسده في كل موضع، كل ذلك قبل أن ينتزع صندوق أحلامه بأظافره في آخر الزمان، ويتحول إلى صياد للفرض، وبذلك فقد آمن طوال حياته بغدر الدنيا، فلم يأمنها بتاتًا، ولم ينتظر منها أن تمنحه أية فرصة، وإنما عليه أن يبحث عن فرصته بنفسه ويقتنصها بيده، وها هي الرحمة الإلهية تمنحه ذلك الامتداد الجميل من ثنايا جسده، ذلك الجسد الذي أنهكته الصراعات وتحمل ما لا يطيق لأجل البقاء على الطريق، فلا بد أن يختار له طريق الصياد حتى لا يتركه أبدًا عرضة لذلك الوجه المخيف من غدر الأيام، ولأنه تعلم من حياته أن لكل شخصية عنوانًا يعرفه بها المجتمع أو بروازًا تضع فيه

تصرفاتها، تدور في فلكه وتتفاعل معه فهذا رجل طيب وذاك رجل متدين والآخر قوي في صراعاته وهكذا، فلا بد من أن يختار لولده اسمًا يكون عنوانًا لشخصيته.

ولقد تغيرت معاملته لزوجته تمامًا مُذاك، وطوال فترة الحمل، فتحول إلى رجل حنون عطوف، لا يفوته الاهتمام بزوجته، ولا يتأخر في تلبية أي مطلب لها، وقد كانت لورا بطبيعتها قليلة المطالب غير مثيرة للقلق أو المشاكل، واستمرت هذه المعاملة حتى وضعت لورا مولودها .. شاهين.

ومنذ لحظة الولادة استولى هذا المولود على قلب أبيه حامد بل وعلى عقله، فأصبح المولود هو محور حياة والده، لا ينام إلا بجواره، وتبدلت معاملته لزوجته إلى شكل جديد كان أقسى عليها من كل ما عانتته معه من قبل، فحامد لا يعاملها إلا كخادمة لابنه وأن تلك مهمتها الوحيدة، وكان كثيرًا ما يصارحها بذلك قائلاً:

- انتى هنا لخدمة ابني وبس.

- أنا أمه !

يقلب حامد شفتيه بامتعاض، دون أن ينطق.

ومما زاد الأمر سوءًا أنها لم تستطع إرضاع مولودها، فلم تقلح محاولاتها في استدراج جسدها الضعيف لتمنح صغيرها غذاءه الضروري، وقد كان لهذا الأمر بالغ

الأثر في شعورها نحوه وكأنه اعترافٌ منها بأنها مجرد خادمة للمولود وليست أمًا طبيعية له، وأعطى الفرصة لحامد ليبالغ في قسوته عليها بكلامه الجارح عن الخادمة الأجيرة التي لا تملك شيئاً و تحيا على ما يوجد به عليها صاحب الدار، دون أن يكون لها الحق في أي شيء.

بدأ المولود خطواته الأولى في الحياة، وبدأ يتعلم النطق تلك الخطوة التي أسعدت أبوه كثيراً لدرجة أفقده صوابه أحياناً وأطارت لبه، فكان يفرح بشدة لأي حرف يخرج من فم هذا الصغير، وكان يعلمه الكلام ويضحك بشدة إذا سبَّ هذا الصغير والدته بل إنه كان يشجعه على ذلك، والأغرب من ذلك أنه لم يكن ليضيق إن فعلها الصغير معه وسبه بأقذع الألفاظ، فقد كانت تلك أكثر الأشياء إضحاكاً له، فاعتاد الطفل على ذلك وكان يشتم والدته أو والده ويضحك بشدة، وكانت الأم لا تملك الاعتراض لأنها لو فعلت لن تنال إلا التجريح والإهانة، وكانت إذا نفذ صبرها في إحدى المرات ونهرته على فعلته أو شكته إلى والده، كان الأب يعاقبها هي بل ويطلب من ابنه أن يصفعها على وجهها جزاء ما نهرته أو ضربته، وكان الأب يعلق على ذلك بضحكة خسنة قاسية من قلب غليظ، فاقد الشعور.

استمرت حياتهم على هذا المنوال ولورا تتجرع العذاب ألوانا والمهانة أشكالا، وتفاقت مخاوفها من المستقبل مع شعورها الدائم بأنها مرتبطة بهذا المنزل ارتباط المحتاج الذي لا يجد مأوى ولا مهرب، حتى أتم زواجهما عامه السادس.

وفى ذلك العام تعرفت لورا على الشاب باولو، وكان شابا يافعا جذابا يدرس في الجامعة في عامه الأخير، وانتقل للإقامة في سكن خاص قريب من منزل حامد وتعرفت إليه بسرعة أثناء متابعتها لطفلها وهو يلعب في حديقة المنزل، وجذبها إليه بقامته الطويلة الممشوقة وشعره الأسود الفاحم الذي يتطاير مع أقل النسيم ونظراته الجريئة التي يضع فيها خلاصة خبرته وتجاربه في اصطياذ الفتيات، وكان يمر وقتذاك بأزمة عاطفية جعلته متعطشا لوجود أنثى بالقرب منه تشاركه فراشه وعواطفه، وتطورت علاقتهما بسرعة فاندفعت لورا بكل جوارحها نحو هذا الشاب لتعوض إحساسها بالضياع مع زوجها القاسي كبير السن، والذي لا يأبه بمشاعرها، ودائم الإيذاء النفسي والبدني لها، ومن طفلها الذي اتخذ مسلك أبيه في احتقارها وإيذاها بكافة الصور.

أصبحت علاقتهما شريان الحياة بالنسبة للورا، فصارت تقضي وقتها في المنزل مملا كئيبا بانتظار لحظة

الإفراج، تلك اللحظة التي يخرج فيها حامد من البيت، حتى تجري مسرعة نحو حبيبها باولو ملقية بجسدها وأوجاعها في أحضانه لتطفئ نار شهوتها، وتروي أنوثتها التي عطشت حتى شارفت على الموت تحت أقدام ذلك الوحش الجبار الذي أسرها في زنزانتة وحرمها الزاد القليل لجسدها الشاب المتفتح ولمشاعرها الإنسانية.

اندمجت معه في حياته وشاركتة أحلامه حتى أنها كانت تشعر بالقلق عند قرب دخول حبيبها أي اختبار في دراسته، ذلك الشعور الذي لم تشعر به تجاه زوجها أو ابنها إذا مرّ بأحدهما مرض أو ألم به ألم.

وعاشت لورا ما يقارب العام في اندماج تام مع حبيبها، شاركتة عقلها ووجدانها، فإذا ما فارقتة بجسدها شعرت أنها تترك روحها معه يتصرف فيها كيف يشاء، حتى جاءت اللحظة الفارقة، فقد أنهى باولو دراسته الجامعية وحن وقت الرحيل والعودة إلى أهله في ساليرنو.

لم تتحمل لورا مجرد الحديث عن فراق حبيبها .. فراق الشخص الوحيد الذي تشعر معه بأدميتها، بكرامتها، بأنوثتها .. ففوجئ بها تخبره بأنها سوف ترحل معه أينما ذهب، وكانت تتكلم بلهجة حاسمه لا تسمح له بالتردد، فشعرت كمن سار طويلاً في طريق وعرة فإذا ما أدركت قدمه الطريق الممهّد، فإنه ينطلق بكل

قوته دون أن يتساءل عن اتجاه الطريق بل يخشى أن تنظر عيناه إلى نهاية الطريق فليس للجحيم عنوان آخر غير ذلك الذي هاجره وغادره بلا رجعة.

وبالفعل سافرت لورا مع حبيبها، رحلت غير عابئة بما تركته خلفها من زوج أو ولد، فلم تكن تشعر تجاههما بأية مشاعر إيجابية، بل كان مجرد ذكرهم كافياً لتذكيرها بالآلام النفسية والامتهان الذي عاشته في ذلك المسكن الكئيب، تركتهم غير نادمة بل ودون تردد كمن يختار بين الموت والحياة.

وكان الطفل شاهين في ذلك الوقت لم يتم عامه الخامس بعد، وقد كان طفلاً غريباً مزعجاً كثير الصراخ لأي سبب، وقد كان لهروب أمه المفاجئ وخروجها من حياته بالغ التأثير في نفسيته، وزاد من سوء طباعه وتعاطيه المستمر للكرهية بعد أن استقر في وجدانه أنه شخص غير محبوب، فكان هذا الطفل رغم صغر سنه ينشد متعته الوحيدة في إيذاء الآخرين ورؤيتهم يتألمون فكان إذا خرج للهو مع الأطفال لا يكف عن إيذائهم، فإذا رأى أحد الأطفال يركب دراجة مثلاً كان يختبئ له حتى إذا مر الطفل بجواره يقوم بحركة خاطفة لدفعه حتى يقع على الأرض وكان يضحك بشدة إذا رأى ذلك الطفل يبكي من الألم، وإذا رأى مجموعة من الأطفال يلعبون الكرة كان يجري نحوهم ويخطف الكرة

ويركض مسرعاً ليلقيها في وسط الطريق بعيداً عنهم، وإذا ارتاد نوادي الأطفال كان ينتهز أي فرصة لإيذاء قرنائهم ممن يتمتعون بالألعاب، إما بإيقاعهم أو إيذائهم أثناء ركوبهم ألعاب الملاهي، ويتفنن في مضايقتهم بأية وسيلة.

أما حامد، فقد اضطربت حياته واختلت عجلتها في يده حين وجد نفسه في موقف مفاجئ لم يخطر له ببال وهو أن يكون مسئولاً مسئولية كاملة عن ولده غريب الأطوار، مما جعله يشعر ولأول مرة في حياته بالخوف والتردد على حياته وعلى مستقبل أيامه، فيجب عليه أولاً الاستعانة بمديرة منزل، تلك التي رفض استخدامها طوال حياته الزوجية حتى لا تكون لورا سيدة على أحد ويُحكَم عليها أسره وجبروته، فبدأ حامد رحلة البحث عن مربية ونشر إعلانات في الصحف للبحث عن تعمل كجليسة أطفال ومديرة منزل بمرتب مغرٍ.

وقد كانت رحلته مع المربيات عجيبة وغريبة جداً، فلم تتحمل أيهن العمل ولا تلبث أن تلوذ بالفرار بعد يوم أو بضعة أيام على الأكثر، بعد أن تُفاجأ بأنها تتعامل مع طفل عدواني أناني يتلذذ بإيذاء الآخرين، دائم الصراخ، ويقوم بسب مربيته ويعتبر ذلك لعباً ومزاحاً، بل كان يتفنن في الأعمال المزعجة، كأن يربط خيطاً بين

الكراسي في طريق المربية لعرقلتها ويشاهدها ضاحكًا، أو يسكب الحليب على الأرض وعلى السجاد ويدهسه بقدمه ليراها وقد استشاطت غضبًا من فعله، وهو يضحك في سعادة بالغة، ثم يبدأ في الصراخ الهستيري دفاعًا عن نفسه، مما يثير غضبها لحد يقارب الجنون.

بل وصل به الأمر إلى أنه غافل إحدى المربيات أثناء وقوفها في ردهة المنزل وتبول عليها، حيث كان واقفًا في الدور العلوي، وكان إحراجها وصراخها يسعده ويرتفع معه صوت ضحكاته.

فلم يتحمله أحد، ولم تقلح معه أي محاولة للتقويم والتربية السليمة، وانتهى بهن الأمر جميعًا إلى الفرار من جحيم هذا السخيف، بل إن منهن من غادرت فرارًا دون إخبار والده، ودون تقاضي أي أجر، وظل الأمر هكذا حتى وصل عدد المربيات اللاتي دخلن هذا المنزل وهربن منه على مدار عام كامل سبعة مربيات، لم تدم خدمة إحداهن أكثر من أيام قليلة، وسرعان ما تترك المنزل بلا عودة، ولم تترك إحدى أولئك المربيات أثرًا في نفس الطفل إيجابًا أو سلبيًا.

حتى تقدمت سيلفيا لهذا العمل، وهي فتاة تخطت الأربعين بقليل دون زواج، في حياة مضطربة، ومع ذلك فلا تخلو ذاكرتها من أحلام وطموحات لا تناسب واقعها الخاص، فرغم جمال وجهها إلا أن قوامها كان

دائمًا ما يلفت عنها الأنظار، إذ كانت مكتتزة القوام لا تستطيع إبراز المفاتن المعتادة للنساء، ولا تجيد التعامل مع شعرها الأحمر المجعد الذي كان يكلفها كثيرًا من الجهد للاعتناء به في ظروفها المحدودة، وما إن دَلّفت إلى غرفة المكتب حتى رأت حامد بمظهره المهيب خلف مكتبه الخشبي الفاخر، يرمقها بنظرة فاحصة قبل أن تتدلى جفونه باستعلاء اعتاد عليه في حديثه إلى مستخدميه، وحتى يبدو ارتخاء جفنه المزمّن كحالة استخفاف بمحدثه، بيد أنها كانت تهمس داخل نفسها فيم يفكر هذا المتباهي، ربما رأى شعرها الذي بذلت معه الكثير من الوقت ليس في أفضل حالاته وربما ساءته حُلَّتْها الرديئة التي اشترتها قبل عامين أو ربما اتجهت أنظاره إلى مناطقها الدافئة التي حرّمتها على الرجال لمدة قاربت ثمانية أعوام كاملة، حين قررت أن تُخلص بجسدها لرجل يستحق التفاني ويبادلها الإخلاص في الشراكة، فلا يكونان كالحیوانات التي تتعاطى النشوة مختلطة بفضلات الآخرين، وإذا هي غارقة في تلك الخواطر بادرها بالسؤال:

- ليست لكِ خبرة طويلة كجليسة أطفال، كما لم يسبق لكِ العمل كمديرة منزل.
- من أين لي بالخبرة الطويلة في هذه السن؟!

فتلمع عيناه كمن شرعت الابتسامة أن تفك أسر شفثيه إلا أنه عاجلها بقيوده، وقد انتبه إلى الإشارة البارزة في عبارتها أنها شابة صغيرة ما تزال مطمعا للرجال، فأوما برأسه مغمضاً عينيه بالموافقة.

فاستأذنت للانصراف، واصطحبها سائقه الخاص إلى حيث المنزل الخشبي الجميل المحاط بحديقة قطعت أشجارها لتحل محلها مجموعة من ألعاب الأطفال المتناثرة في كل مكان، ل يبدو المكان وكأنه أحد رياض الأطفال المتخصصة، فتذكرت الأشهر الثلاثة الأخيرة التي قضتها في ضيافة صديقتها كاتي، بعد أن اضطرت لترك الغرفة التي كانت تستأجرها في الضاحية الجنوبية لعدم قدرتها على سداد الأجرة، وها هي تلتحق أخيراً بحلٍ لأزماتها حيث العمل والإقامة.

فنظرت إلى السائق الذي بدا متجهما خلف نظارته الشمسية التي تستقر فوق وجنتيه البارزتين وتبدو شفثاه الدقيقتان وكأنما خطهما قلم، مما أظهره كتمثال لا يبدو عليه من مظاهر الحياة شيء، بل أنها ظننت أنها ترمي بسؤالها إلى التأكد من أنه بشري يتنفس وليس تمثالاً من الرخام، لتعاجله بالسؤال:

- من يقوم برعاية هذا المنزل الكبير وهذه الحديقة؟

- السيد حامد يستعين دائماً بالمتخصصين في كل شيء، ولا يتعدى عمله ما اتفقت عليه.

ولم يعقب ولو بابتسامة تخفف من حدة الموقف، وكأنه ينذرها بما ينتظرها بالداخل، ثم أوقف السيارة أمام البوابة، وترجل معها عابرين الحديقة إلى المنزل، وفتح الباب الإلكتروني ثم نادي ..

- شاهين .. شاهين، الأنسة سيلفيا المربية ستتولى كل أمورك من الآن.
- تشبه أنثى الخنزير ..

فاندفعت ضحكة حادة من السائق الذي كان منذ دقائق لا يشبه الأحياء، وشعرت سيلفيا بسخونة تتصاعد إلى رأسها وتنعكس على وجهها الأشقر الذي بدا وكأنه مصبوغ باللون الأحمر، فقد شعرت بضحكة السائق كإهانة مباشرة ابتلعها من المكان، فكأن كيانه وكرامته قد سكبهما الطفل على الأرض، فمسحتها ضحكة السائق، ولم تجد بُدًا من الاستسلام، فما جدوى أن يُعبر عن نفسه من لا يراه الآخرين موجودًا من الأصل؟!!

حاولت معالجة الموقف بأن وضعت يدها على رأس الطفل قائلة:

- أهلا يا حبيبي ..

فما كان منه إلا أن دفع يدها بعنف، والتفت متوجهاً إلى السلم ليصعد إلى غرفته بالدور العلوي.

- أستاذن بالانصراف.

قالها السائق والتفت دون أن ينتظر منها ردًا على كلامه، فارتبكت بشدة ولم تجد أمامها مكانًا تذهب إليه سوى المطبخ، جلست على أقرب مقعد وتلفتت رأسها بين يديها في لحظة تفكير لاستيعاب الموقف برمته، وبينما هي مستغرقة في التفكير في وضعها في هذا المنزل، وتعاملها مع ذلك الطفل الأخرق وقعت عيناها على صندوق الشيكولاتة الموضوع على طاولة المطبخ ففتحته بسرعة وبدأت بتناول قطعة منه طابت لها كثيرًا فقد كانت تعرف عن أنواعها الكثير، وتهتم باختيار المذاق والتعرف على الجديد منها، ثم لحقتها بأخرى بينما أمسكت بالثالثة في يدها، وقامت لتصنع لنفسها فنجانًا من القهوة، وبينما هي تراقب القهوة على الموقد إذا بها تشعر ببرودة في ظهرها، وكأنه أصابه البلل فالتفتت فجأة لتجد الطفل خلفها وقد أمسك في يده لعبة بلاستيكية على شكل سمكة يطلق منها سائلًا أخضر نحوها، وهو يضحك بشدة، فاستشاطت غضبًا وهزلت نحوه، إلا أنه ركض مسرعًا صاعدًا من حيث أتى.

فتابعته صارخة:

- قرد قبيح ... !!

وحاولت كبت انفعالها حتى لا تخسر هذه الوظيفة المريحة والمرتب المغربي، بالإضافة إلى الإقامة في هذا المنزل الرائع، وبعد أن استجمعت قواها ومحت الآثار التي علقت بثوبها، تذكرت أن الطفل ربما يحتاج إلى الطعام، فأعدت بعض الشطائر وكوبًا من العصير الطازج، علّها تكون تشجيعًا للطفل على التقرب منها وحسن معاملتها.

فصعدت السلم الخشبي وطرقت باب الغرفة، فلم تسمع جوابًا ففتحت الباب واتجهت إلى المنضدة لتضع صينيّتها، فإذا بها تقع على الأرض، وتتلقف في وجهها المشروب والطعام عندما أمسك الطفل بقدمها من مكانه الذي يختبئ فيه أسفل السرير.

فقامت ونظرت إليه، وكادت تفتك به، لكنها قالت:

- إن الأشباح ستأكلك إذا فعلت هذه السخافات مرة أخرى ..!

وكانت هذه أول مرة يسمع فيها الطفل كلمة أشباح، فارتعدت فرائصه خوفًا، واهتزت عيناه بعصبية شديدة من أثر ذلك.

وبعد ساعة، بينما تجلس سيلفيا في غرفتها شاردة في أحلامها الخاصة، فما تزال صورة هذا الوحش الإنساني الذي تعمل لديه وما يحمله جسده من خشونة عالقة في ذهنها، وتثير في نفسها مشاعر ظنتها منسية من قبل، وسرت قشعريرة في بدنها وهي تتخيل نفسها بين ذراعيه، ودقت نبضات الحياة في أوصالها ومخابئ جسدها الذي حسبته صنماً مهجوراً معزولاً عن البشر، وما زال التساؤل يدق رأسها دقاً: لماذا هذا الرجل بالتحديد؟ قد يكون هذا هو الرجل المخلص الذي انتظرته طويلاً، الرجل الذي قد فرغت الدنيا من حوله ليتفرغ لها بوجوده وجسده، وبينما هي على هذا النحو تنأى إلى مسامعها دبيب أقدام عرفتها بأنها للطفل شاهين، لا بد أنه شعر بالجوع وذهب إلى المطبخ باحثاً عن الطعام، ففتحت باب غرفتها ببطء وحذر لتراقب الموقف أولاً قبل أن تتحرك خوفاً من تكرار أحد مواقفه السخيفة، فلم تراه لكنها سمعت صوتاً يعبر عن فتح باب حافظة الطعام الكهربائية، وتلتها أصوات تعني أنه قد عثر على ما يريد، فوقفت مترددة بين التحرك لتقديم الطعام إليه، وبين أن تقف ساكنة في موقعها، تراقب الموقف أولاً، لكنها حسمت الأمر سريعاً، فتلك مهمتها التي تتقاضى عنها راتبها، وتستحق بها الإقامة في ذلك المنزل، بل أن جوهر العمل وأساسه هو التعامل مع هذا الطفل.

لم يطل تردها، فتوجهت إلى المطبخ لتجد الطفل ممسكًا بالعلبة التي تحتوي على زبدة الفول السوداني ويتناولها بإصبعه في نهم وجوع، فبادرته قائلة:

- أتحب البطاطا المقلية؟

فأوماً برأسه موافقًا، فبدأت في إعداد البطاطا وهي تبتسم ابتسامة صافية تعرف تأثيرها جيدًا على الطفل الذي يبدو عليه الجزع دون سبب محدد، ثم قالت:

- أتحب النقانق؟

- إنها بشعة!

- أتحب البورجر؟

أجابها مبتسمًا:

- نعم .

فأعدت له الطعام، ووضعت أمامه، وهمت بالانصراف من المطبخ قائلة بنبرة حانية من تأثير الحالة التي كانت عليها:

- نادني عند فراغك من الطعام.

فأجابها:

- لا تذهبي ..

فجلست بجواره وهي تتعمد ألا تنظر إلى يديه وهو يأكل لعلمها بتأثير ذلك على مثل هذا الطفل، وإن كان الفضول يقتلها لترى أصابعه المغروسة في الطعام، لكنها قاومت فضولها منعاً لاستثارتها، فعاجلها بسؤاله:

- من هم الأشباح؟

فوجئت بسؤاله، وأطرقت للحظات قبل أن تجيبه:

- ليست لهم أسماء نعرفها.
- كيف؟
- الأشباح كائنات ضخمة، مكونة من النيران، تعيش تحت الأرض وداخل الجدران.
- هل ستحرقني؟
- إذا أغضبتني فستحرقك، أو تأكلك كإصبع الموز.

فأجفل الطفل وبدا عليه الخوف الشديد، فبادرته بقولها:

- لا تخف يا صغيري، ما دمت تطيعني لن يمسسك سوء، وإذا صعدت معي إلى غرفتك الآن سأروي لك قصة طريفة.

بدأت في سرد إحدى قصص الأطفال التي تنشط خيالهم وتذهب بهم بعيداً عن الواقع، مما يساعدهم على النوم، ولم تتمها حتى ذهب شاهين في نوم عميق.

وعادت سيلفيا إلى غرفتها غارقة في خواطرها مستسلمة لأحاسيسها، حتى وصل حامد من العمل ثم دخل إلى المنزل ليشتم رائحة يعرفها جيدًا، مما دفعه إلى البحث في أغراض زوجته حتى وجد ضالته، فاستدعى سيلفيا صارخًا:

- أين أغراضك؟
- لماذا؟
- لقد سرقت أدوات زوجتي للتجميل.
- يا فندم .. !
- الشرطة كفيلة بالتعامل مع أمثالك.

فخرجت سيلفيا مسرعة لا تلوي على شيء، واختلطت دموعها بمساحيق التجميل، وامتزج عرقها برائحة العطر سبب المهزلة، وتملكها شعور جارف بأنها تتمنى لو أن سيارة مسرعة تصدمها لتغمض عينيها إلى النهاية وألقي القبض عليها وهي غارقة في اضطرابها، ودخلت غرفة الحجز، ودار أمامها شريط حياتها منذ نعومة أظفارها وقت توفي والداها في حادث سيارة حين كانت في الرابعة من عمرها، وانتقلت لمنزل عمها لتقيم فيه كالقطة، لا تملك الحق في شيء إنما عليها أن تنتظر من يمنحها أي شيء من الطعام، أو يأذن لها بالتعامل مع أي شيء في المنزل، وتمزقها الذكريات فلا تنسى نظرات الشك التي كثيرًا ما ألهبته بها

صديقتها كاتي في مناسبات عديدة حتى اعتادت الهروب الدائم من التقاء عيونهما، ولم تكن تعلق على ذلك إلا بالهروب من الشقة قبل موعد وصول صديقها جيباني، حتى تنفي عن نفسها أي شكوك بمحاولة استدراج الحبيب الذي لم تفكر فيه يوماً بينما تنكر حقيقة الشك الذي عذبها منذ الطفولة، حتى أنها لم تتجرأ أن تنظر إلى عيون صديقتها وهي تخبرها بالوظيفة التي قرأت عنها إعلاناً في الصحف، تلك الوظيفة التي تريحتها من عذاب الإيواء خشية أن ترى نظرة الارتياح فيها .. أو اااه .. ما أقسى تلك النظرة!

تدافعت خواطرها وأغمضت عينيها، ولولا أنها خشيت أن تمتد يدها فتستل سكيناً تنتهي بها حياتها التي تواصلت كسلسلة من العذاب لما عاودت فتح عينيها أبداً.

بينما هي على هذه الحال حضر حامد إلى مقر الشرطة، مؤكداً أنه راجع أغراضه فلم يجد شيئاً منقوصاً سوى أشياء بسيطة من أدوات التجميل، ولم تمتد يدها إلى أي من الأشياء الثمينة، وبالتالي فلا يوجد مبرر لاحتجازها، قال عبارته تلك أمام ضابط الشرطة ببرود زاد من إثارة أعصابها، فعلمت على ذلك:

- قبل أن أعود للمنزل، هل تأكدت إنني لم أضع سمًا في طعامك؟!!!

فنظر إليها مستنكرًا إهانتها له، فكأنها تتهمه بالسفه أو بجنون الارتياب، وعلق قائلاً:

- أضف إلى بلاغي أنها تعاني اضطرابات نفسية.

ثم وقع على أقواله، وخرج من المخفر، دون أن ينتظر مصير بلاغه وانصرف إلى منزله، وفي الطريق عاودت جملتها تطن في رأسه وتقرعه بقوة، وألح عليه التساؤل:

- ماذا يحدث لو ... ما هو مصير شاهين لو مُت الآن .. حد ضامن عمره؟! ما هو مصير ابني لو تركته وحيدًا في هذا البلد؟

ولم يطل تفكيره فقد حسم أمره وقرر من فوره أن يبادر بتصفية جميع أعماله ويعود إلى مصر، ولكن إلى أين؟ هل يعود إلى مسقط رأسه كفر هورين - المنوفية؟! يعود ليعيش مع من؟؟ أبيه وأمه .. هل ما زال على قيد الحياة - أحدهما أو كلاهما؟!!

إخوته .. ترى ماذا فعلت بهم الأيام؟؟ فإذا كانوا على حالتهم من البؤس والشقاء الذي تركهم عليه فان عودته إليهم لا تعني له إلا المتاعب، وماذا يمكن أن يفعلوه

بولده ليستولوا على ميراثه وملايينه؟ وهل يمكن اعتبار هؤلاء أهلاً حقيقيين يأمن على ولده بينهم؟!

هل يعود إلى القاهرة؟ إلى أي حياة يعود؟ فلا تختلف القاهرة عن نابولي، بل إن المقارنة بينهما في صالح نابولي في كل شيء.

أما سيلفيا فلم تتحرك من أمام ضابط الشرطة الرقيب بونوتشي الذي تأثر بدموعها، ولم يبارحها حتى قصت عليه قصتها من أولها، وهو متكئ على مقعده خلف مكتبه العتيق، وحين انتهت بادرها قائلاً:

- ما قولك في العمل معي، لدي مزرعة صغيرة للعب على خليج نابولي، وبها مكان مناسب لإقامتك.

وكان بونوتشي مهيب الطلعة بوجهه المستدير وشاربه الأبيض الكثيف الذي يتناسق مع رأسه التي أنهكه الصلع والشيب، ليبدو مليئاً بالحكمة لشخص يوحى بالثقة بصورة تجبر محدثه على الإنصات لحديثه بل والاستجابة لطلباته التي يلقيها بوضوح لا يخلو من الحزم، مع التأكيد على تفهم مشاعر محدثه.

- أنا الآن كالغريق في بحر لا شاطئ له، وأشعر بأنني غير قادرة على اتخاذ قرار.

- جربي وسوف تؤمن لك مسكنًا مناسبًا، فنحن بحاجة إلى أمثالك بالفعل.

ففهمت إشارته بأنها مأوى للضعفاء والمعوزين، ولكنها جادلت نفسها، فكيف لها أن تمتنع، وقد رأت في عينيه نظرة الأب الذي حرمت منه، حتى عمها شيرازي كان رجلًا متحجر القلب لم يمنحها أي مشاعر، وقالت في نفسها:

- لا تخدعي نفسك، فربما هو ذئب يصطاد فريسته من الفتيات الضالات بلا مأوى، ليس لدي شيئًا أخسره، وربما تخلصني أجواء الريف من هواجس الأشباح التي تحرمني النوم ليالي طويلة سوداء، وقد أجد الأمان والسكينة في هذا المكان بعيدًا عن جفاف المدينة وقسوتها.

أما شاهين فقد قضت الأشباح مضجعه وأيقظته مفزوعًا من نومه حين رآها تأكل ساقه والنار تشتعل في جسده، ولم يعد حلم الأشباح غريبًا عليه مذاك، فقد تكررت أحلامه تلك على فترات متباعدة.

وبالفعل عاد حامد إلى مصر، ولكن هذه المرة كأحد كبار الأثرياء بعد أن تضاعفت ثروته في الغربية إلى الحد الذي مكنه من شراء عزبة كاملة في أحد المناطق الجديدة في محافظة البحيرة، وبنى لنفسه قصرًا

اسطوانياً فخمًا محاطًا بحديقة من أروع الحدائق على شكل دائرة كاملة الاستدارة، وقام كذلك ببناء مستشفى ومدرسة في العزبة لتعليم أبناء المزارعين، بالإضافة إلى مصنع مواد بناء بالعامرية، وعمارة بالإسكندرية.

التحق أدهم عبد الحميد بالعمل لديه، كجنايني في بداية الأمر، في إحدى المفارقات العجيبة أن يتقدم معيد في كلية الزراعة بكفر الشيخ، قسم زهور وزينة ليشغل هذه الوظيفة والراتب الذي يتجاوز خمسة أضعاف راتبه من الجامعة، ذلك الراتب الذي كان يضيع معظمه في المواصلات من قريته البصراط - على حدود البحر الأبيض المتوسط - إلى مطوبس ومنها إلى كفر الشيخ، وكثيرًا ما عجز عن إيجاد ناقلة الركاب متوفرة في مطوبس، فيضطر إلى الذهاب إلى فوه أو دسوق، ومنها إلى كفر الشيخ، فكان يخرج من منزله قبل موعد العمل بثلاث ساعات.

إلى عملٍ لا يبعد عن قريته أكثر من ساعة واحدة على مواصلتين حيث عزبة الزعفراني التابعة لمركز إدكو، والأهم أن ذلك إعلانًا لتمرده على الوضع الشاذ الذي وضع فيه أمثاله من النابهين والمتفوقين الذين لا يجدون أي تقدير لكفاءتهم في نظام لا يحترم العلم، ولا يمنح أهله المكانة اللائقة، ولا يعطيهم سوى الإهمال ولا يفتح لهم طريقًا سوى الإحباط.

كان قد اتخذ قراره بالبحث عن عمل يؤمن له متطلباته، بعيدًا عن التمسك بأهداب المركز الأدبي الذي يفقد جدواه إذا لم يؤمن لصاحبه الحد الأدنى من الحياة الكريمة، ولا يستطيع تحقيق أساسيات المستقبل وأركانه الرئيسية ومن أهمها الزواج ممن أحب، من حبيبته وفاء بنت قرية محلة موسى التابعة لمركز كفر الشيخ، والتي أحبها ولا يحتمل حياته دونها، وكثيرًا ما حلم بأن تجمعهما شقة واحدة في مدينة كفر الشيخ، والتي يصل سعر الشقة فيها لمبالغ أعلى من أسعارها في أحياء كثيرة في القاهرة، والتي اعتاد ألا ينام إلا على صوتها يأتيه عبر الهاتف هامسًا مفعمًا بالدفء والاشتياق فيتذكر وجهها الصغير الملائكي، وبشرتها البيضاء الناعمة كالأطفال، وعينيها العسليتين وجسمها المتناسق الذي يحمل أنوثة ناعمة، فيلتقط صورتها في وجدانه، ويحتضنها بجفونه، لا يغادرها حتى يأخذه النوم بعيدًا.

وكثيرًا ما رفض أدهم نظرية شخصه المهن وتصنيفها والتقسيم الطائفي للمجتمع وفق المسميات الوظيفية، ثم أنه حسم أمره بين اختيار أحد الطريقتين .. طريق ما يغضب الله ويتعارض مع أخلاقه، كأن يعتمد على التكسب من بيع الامتحانات للطلبة، أو قبول الهدايا والعطايا منهم لتمييزهم ومساعدتهم على تجاوز من هو أحق منهم وأجدر، أو تغيير المسار من الناحية الشكلية فقط، ولتسقط تلك القواعد الاجتماعية البالية.

وها هو حامد الذي علمته الدنيا الكثير، قد أحسن الظن به من أول نظرة، فبعد شهور بسيطة استدعاه وأخبره بأنه سوف يعتمد عليه كمشرف عام على أعمال الزراعة بالعزبة بالكامل، وأنه لم يرصد له هذا الراتب الكبير لرعاية حديقة المنزل فقط، ولكنه أرادها فرصة لمراقبته وتقييمه قبل أن يعهد إليه بهذه المسؤولية.

وعلى الرغم من حالة الاستفزاز التي أصابت أدهم من حديث التقييم والاختبار، إلا أنه استراح لذلك، فقد وضع هذا التغيير حدًا لانزعاجاته من الوظيفة، بأن وضع في موقع اجتماعي لا يستحي منه، وها هو المجتمع كذلك قد وجد ضالته، حتى أنه تمكن من مصارحة أبيه بحقيقة عمله، دون أن يشرح له بداية الرحلة، وسبب توجهه من الأصل تفاديًا لغضبه، وكفًا لعناء الدخول في تفاصيل المصطلحات الاجتماعية التي لم يقتنع بها يوماً.

أراد حامد إلحاق ابنه الذي جاوز السابعة من عمره بالمدرسة بعد أن تم بناؤها، إلا إن السيد ناظر المدرسة وإجلالاً لحضرة صاحب العزبة طلب منه أن يبقى الولد في المنزل مع إتمام إجراءات التحاقه بالمدرسة، وعلى أن يذهب المدرسون إلى القصر في المواعيد التي يحددها سيادته لتعليم الطفل المدلل.

وبالفعل بدأت رحله شاهين مع التعليم، وبدأت معاناة المدرسين معه، فقد كان بطيء الفهم، شارد الذهن، ضعيف التركيز، وكان تحصيله في الإجمالي على أقل ما يكون التحصيل، ولكن نظرًا لمكانة والده فقد كان يتجاوز الامتحانات كل عام، وإن غاب عن حضور بعض تلك الامتحانات، فقد كان ناظر المدرسة يتدخل في النتيجة خوفًا من بطش الأب .

وقد استقر أدهم تمامًا وأحسن تنظيم وقته بعد استقالته من الجامعة، ولم يغيب يومًا عن العمل إلا في يوم واحد لوفاة والده - بعد نحو عام من عمله في العزبة، فذهب إلى القرية، ودفن والده مصرًا على عدم إقامة أي سرادقات للعزاء، تلك المظاهر الاجتماعية البالية من وجهة نظره، حيث يتحول الحزن إلى مسرح يستعرض فيه كل شخص قدرته على تقمص الدور الذي يحب أن يراه الناس به، متبارين في استحضار الهيبة والوقار وإيضاح مدى تأثرهم المصطنع، وكأنهم يتعظون بحق من الحدث الجليل.

ثم استطاع أخيرًا أن يحقق حلمه بالزواج من محبوبته، بعد أن اشترى الشقة المناسبة في مدينة كفر الشيخ وأقام لزوجاه فرحًا شاملًا بدون تقصير في أي اتجاه، فأقام وليمة كبيرة في قريته البصراط، دعا إليها أهالي القرية ليلة الحناء، ليحافظ على مظهره في قريته، كما أقام

حفلة مناسبة في قاعة صنعاء بمدينة كفر الشيخ، دعا إليها المقربين من عائلته الذين أصرت والدته على دعوتهم بالإضافة إلى حامد الزعفراني وبعض المقربين له من عزبة الزعفراني، مع أهل العروس الذين أسعدهم ما يجمعه شريك ابنتهم من العلاقات الاجتماعية المحترمة، والإمكانات المادية المشرفة.

وقد سيطر على العريس إحساسه، وكأن قاعة الحفل تستمد إنارتها من تلك الثريا المتألئة التي يزدان بها المقعد المجاور له، والتي بدت بالفعل كأحد أميرات القصور الملكية بجمالها الأخاذ، تشع البهجة والمرح في المكان بابتسامتها الرائعة من تلك الشفاة الرقيقة المكتنزة، والتي تبدو منها أسنانها الناصعة لتضيء القاعة بمصاحبة ذلك البريق الرائع من فرحة عيونها العسلية الواسعة، ولم تزدها مساحيق التجميل الخفيفة إلا جمالاً، حتى إن السيدة الكوافيرة أكدت لها بنبراتٍ دافئة وسط الزغاريد ..

- سبحان الخلاق يا بنتي .. ده أنتِ شق القمر !

ولم تكن تبالغ، فلم تبذل معها مجهوداً كبيراً في تجميل ذلك الوجه الجميل، إنما بذلت بعض الوقت في تثبيت الطرحة البيضاء التي أصرت عليها العروس لتخفي شعرها الحريري الذهبي، الذي يقاوم بنعومته عمليات التثبيت.

لعروس تفيض بساطة ورقة، منحت الليلة مذاقًا خاصًا بما أضافته روحها العذبة على الجميع، لتكون عنوانًا لسعادة الشريك الذي عشقها وأدمن عشقها بكل جوارحه ووجدانه.

ومرت السنون وهو لا ينفك أثيرًا لدى حامد، وتطور الأمر حتى أصبح بالفعل مديرًا لكل أملاك حامد بمعنى أنه المدير الحقيقي لكل شؤون العزبة، بالإضافة إلى مصنع مواد البناء، وعمارة الإسكندرية التي تؤجر شققها مفروشة للطلبة طوال العام الدراسي، وبانتهائه يقوم أدهم بتأجيرها للمصيفين في أشهر الصيف.

واستمرت معاناة المعلمين مع شاهين حتى وصل إلى السنة النهائية للمرحلة الإعدادية، وفي تلك السنة التقى حامد بالأستاذ عثمان، مدرس أول العلوم الذي التحق بالعمل في المدرسة في مطلع هذا العام الدراسي، فاستدعاه إلى القصر.

حامد:

- أهلا أستاذ عثمان.
- أهلا بحضرتك.
- أنا عرفت إنك من الأساتذة الكبار في مادتك، ويا ريتك تهتم بشاهين شوية، أنت ها تلاقيه شاطر

- وها تنبسط منه، هو شقي شوية بس شاطر،
 وطلباتك .. ما تنعاش هم الفلوس.
 - المسألة مش فلوس حضرتك، المهم مستواه.
 - على الله وعليك إن شاء الله.
 - الله المستعان ..

ولم يكن حامد يعرف حقيقة مستوى ولده، فكان حامد رغم ذكائه أميًا لا يعرف القراءة أو الكتابة، وكان مخدوعًا بمجاملة المدرسين له، ومدحهم لولده الذي كان ضعيف المستوى بدرجة ملحوظة، ولولا مجاملة المدرسين وتدخل الناظر لما تجاوز أي سنة من سنوات الدراسة.

اصطدم عثمان بحقيقة مستوى الطالب، وأنه لا يعرف أساسيات المواد، وشعر بصعوبة العمل معه، بل واستحالة وصول مثل هذا الطالب إلى المستوى المناسب لاجتياز الامتحان في نهاية العام.

فلم يجد الأستاذ المحترم بدءًا من مواجهة الأب بحقيقة الموقف، فجلس أمامه واضعًا ساقًا فوق الأخرى في بدلته البنية التي تبدل لون أطرافها مما يوحي بكثرة استعمالها، فكان مظهره في جملته مستفزًا لحامد، فكان يلمع شعره بالفازلين، ويحافظ على شاربه الرفيع جدًا وكأنه خط بالمسطرة، ولا يغير بدلته، كما يحافظ على اعتدال رقبتة أثناء المشي أو الحديث مستعملًا عينيه

بصورة تحمل بعض الكبرياء، لكي يبدو كالعالم ببواطن الأمور.

- شاهين يا حامد بيه مستواه وحش جدًا.
- إيه .. إيه .. أنت بتقول إيه؟!!!
- بأقول لسعادتك مستواه ضعيف، ومش ممكن ينجح بالطريقة دي، ده ما يعرفش الأساسيات، ده بيغلط في القراءة أخطاء واضحة، والكتابة بيكتب بالعافية.
- أنت بتقول إيه يا أستاذ - ساخرًا - أمال وصل
ثالثة إعدادي إزاي؟!
 - ده سؤال تسأله لناظر المدرسة والمدرسين اللي نجّحوه طول السنين اللي فاتت، وبعدين أنا ملاحظ أنه مدلع بطريقة غريبة، ومش مهتم بالمذاكرة ولا بأي شيء.
 - ما أنا قلت لك هو شقي شويتين بس ذكي وشاطر.
 - عايز أقول لسعادتك حاجة، من خبرتي في التعليم وتعاملي مع التلامذة في السن ده، إن القسوة في تربية الأولاد بتفيدهم حتى لو غلط أحيانًا، لكن الدلع بيضرهم حتى لو كان صح، الابن اللي بيتربى يتيم أو في ظروف صعبة، أو لأب قاسي ما بيتفاهمش، ممكن يفشل لكن في الغالب بينجح وبعضهم بينجح جدًا، لكن الابن اللي أهله بيدلعوه وما بيعاملوهوش بالثواب والعقاب عمره ما بينجح

- لازم يفشل وأهله ببيقوا جنوا عليه بدلهم الزايد، لازم يعلموه إن يبقى له هدف في الحياة.
- أنا مش فاهم .. طب العمل إيه دلوقت؟! لو محتاج أي عدد من المدرسين أنا مستعد، ومستعد لأي تكاليف.
- الموضوع مش مدرسين، المهم التلميذ نفسه يكون عنده استعداد يتعلم .. أنا رأيي ما تتعبدش نفسك، وسيبه يحصل اللي يحصله من التعليم، وهو ونصيبه .. بعد إذن حضرتك.
- ها تسببه بردو .. ده هو محتاج لك وأنا مستعد ...
- ما تكملش حضرتك، أنا لو شايف أي فائدة كنت كملت معاه، ولو في أي أمل .. لكن بصراحة بالوضع ده .. أنا شايف إني بأضيع وقتي، وما استحقش أجر عن عمل مش مفيد، عن إذك .. سلام عليكم.

حامد يجلس واجماً حائراً من صراحة هذا المدرس، ولم يستطع أن يثنيه عن موقفه، بل إنه في الحقيقة لا يخفي إعجابه بهذا المتحذلق الذي أهاج عليه خواطره وذكرياته بإصراره على مبادئه رغم المغريات لدرجة أنه حدث نفسه:

- جرى لك إيه يا حامد؟! إزاي وقفت ساكت قدام
الراجل ده وهو عمال يديك دروس، بصراحة
عجبني .. ومن امتي بيعجبك حد؟!
إيه اللي غيرك يا حامد؟! يمكن خيبة أملك في
ابنك ... أيوه هي دي، خيبة أمني.

لم ينم حامد في تلك الليلة، فقد أثار حديث المدرس
عثمان معه كثيرًا من شجونه، وجعله يراجع شريط
حياته، وجلس يحدث نفسه:

- إيه اللي هزك كده؟! ده أنت جبّل عمرك ما خفت
ولا اتهزيت، علشان قال لك ما خدش فلوس من
غير فائدة .. من غير شغل، كأنه بيقول لك فلوسك
حرام، ودي آخرتها.

ومرت بضعة أيام على هذا الموقف، قضاها حامد
مطرّقًا شارد الذهن، زاهدًا في الطعام وفي الكلام،
وبينما هو جالس في شرفة القصر على هذه الحال
حضر إليه عوض الجنائني ..

- حامد بيه .. حامد بيه .. يا بيه ...

حامد لا يرد !!

فيقترب منه عوض، ليجده جالسًا على الكرسي مفتوح
العينين، وبدون حراك .. فيمسك يده، ويفاجأ، فيصرخ:

- لا حول ولا قوة إلا بالله .. الحقني يا عم حسنين،
البيه ما بينطقش.
- ما بينطقش ... ده باينه مات.
- إنا لله وإنا إليه راجعون!

أما شاهين، فكان استقباله للخبر بغرابة أدهشت حسانين البواب عندما أبلغه، فلم يبدُ عليه الحزن المتوقع في مثل هذا الموقف، بل بدا عليه الخوف الشديد، فقد امتنع وجهه واصفرّ لونه، وارتعدت يداه في هلع واضح كمن يقف مكتوف الأيدي أمام قطار سريع.

فقد شعر شاهين بأنه أُلقي به بعيدًا عن حماية والده، فكان كمن سقط في عرض البحر فجأة وبدون مقدمات، ولم يحضر شاهين جنازة والده، بل ولم يدخل سرادق العزاء، وظل جالسًا في فراشه مذعورًا لا ينطق بكلمة، ولم ينم ليلتها، وظل مستيقظًا في فراشه حتى الصباح.

ومع وضوح النهار، استقل سيارة والده الفارهة وانطلق مغادرًا القرية في سرعة جنونية، دون أن يجيب على نداءات من حاولوا إيقافه، فكان مشدوهاً أشبه بالغائب عن الوعي.

إحدى الفلاحات:

- يا حول الله .. الواد تايه يا ضنايا.

ترد أخرى:

- معذور .. عيل بردو، وما كانش ليه غير أبوه.

ويطير شاهين بالسيارة بأقصى سرعة وبدون تفكير إلى أين ينتهي به الطريق، حتى اقترب من القاهرة وهناك يدخل أحد المطاعم المشهورة، وعندما يأتي الطعام يتركه دون أن يأكل منه شيئاً ويخرج مسرعاً ويدور في شوارع المدينة على غير هدى، حتى يرى أحد محلات بيع الخمر .. فيتوقف أمام المحل، وينزل من السيارة إلى داخل المحل، ويخرج من جيبه رزمة من المال ..

- صندوق ويسكي

يضع عامل المحل الصندوق في حقيبة السيارة ويستمر في سيره متجولاً في شوارع القاهرة، حتى حل ظلام الليل، وقد بدأ يشعر بالتعب والإعياء عندما وصل بسيارته إلى منطقة جبل المقطم، فأوقف السيارة ونزل منها، وفتح حقيبة السيارة، وفتح الصندوق وأخرج زجاجة وفتحها، وبدأ يشرب منها كالجوعان، وارتمى على مقعد السائق وفي يده الزجاجة، ولكن وقبل أن ينتهي من تجرع زجاجته كان قد فارق الوعي، ودخل في نوم عميق، نوم لم يوقظه منه إلا لفحة الشمس على وجهه في اليوم التالي، وكان في الوقت نفسه قد شعر بعضة الجوع، فأسرع بسيارته حتى مر بجوار مطعم

المسحراتي، وأزكمت أنفه رائحة الطعمية التي يقبلها العامل في الزيت، وسال لعبه وهو يرى أطباق الفول الساخن والبادنجان المقلي، فبذل جهدًا ملحوظًا ليتحكم في أعصابه، حتى يتمكن من ركن السيارة في الحارة الداخلية ليتمكن من طلب الفطور، ثم تناول طعامه بنهم شديد، وتوجه بعد ذلك إلى محل الخمور الذي زاره بالأمس، ودخل إلى المحل مشهراً رزمة من الأوراق المالية الكبيرة، فيسأله صاحب المحل وقد تذكره لغرابية شكله وغرابية سلوكه ..

- صندوق يا باشا ؟
- خمسة ..
- أمرك يا باشا .. خالد، ولد يا خالد.
- أيوه حاضر ..
- حظ خمسة صناديق ويسكي في عربية الباشا.

فيشير خالد إلى شاهين ..

- المفتاح يا باشا ..

فناولته شاهين المفتاح دون أن ينطق، وإنما قلب شفثيه باستعلاء أساء الفتى، وأشعره بالمهانة التي جعلته يحمل الصناديق ويسير محني الرأس، حانقًا من الغيظ من هذا السيكوباتي المغرور المعتوه.

عاد شاهين إلى القرية ودخل صامتًا إلى داخل حديقة القصر، ليجد في مواجهته أدهم الذي ينظر إليه نظرة المتسائل عن أحواله، وكأنه يقول : أين كنت ؟ كل ذلك دون أن ينطق بكلمة حتى لا يكون رد هذا الأخرق جارحًا له، أو مفاجئًا غير متوقع كما جرت عادته.

وقد كان أدهم ذا مكانة خاصة لدى شاهين، فقد كان الشخص الوحيد الذي يعامله شاهين باحترام وذلك لعدة أسباب، أولها أن أدهم كان المسئول عن كل شيء في العزبة، فضلًا عن رعايته لزهور الحديقة، وقد كان شاهين مولعًا بالزهور لدرجة الهوس، فقد كان لا يمل من النظر إليها بل ومراقبتها لدرجة أنه كان ينظر إليها لساعات طوال، محققًا النظر، ومتصورًا أنه يشاهد تطورها، ويخشى أن يفوته لحظة من لحظات تطورها وتلونها، ولأن أدهم كان بارعًا جدًا في عمله، فقد استطاع أن يجعل حديقة القصر أشبه بلوحة فنية رائعة تبرز فيها الألوان في تناغم بديع، وكأن تلك الألوان تشكّل في تناسقها مقطوعة موسيقية معدة من أحد الموسيقيين العظماء.

فوق كل ذلك، فقد كان أدهم صاحب شخصية صارمة، ويتظاهر بالهدوء، متواريًا خلف وجهه الجامد الذي لا يبدي أي انفعال.

وكان شخصاً مثقفاً جداً، واسع الاطلاع، شغوفاً بالقراءة لدرجة أن استراحته التي يقيم فيها، والملحقة بحديقة القصر كانت مكدسة بالكتب المتنوعة والموزعة على الأرفف بتناسق وترتيب، كأنها مكتبة متخصصة، كما كان مولعاً بالإلكترونيات، يقتني منها الحديث والأحدث في وسائل الاتصالات والتصوير وما إلى ذلك، وساعده على ذلك راتبه الكبير الذي كان يتقاضاه من عمله لدى حامد، وكان قليل المطالب لدرجة غريبة جداً، حتى عندما توفيت والدته استأذن من حامد بكلمات مقتضبة جداً، دون أن يفتح مجاًلاً لحامد أن يطلب حضور العزاء، فكان يأبى على نفسه انتظار ذلك من شخص كحامد على الرغم من مكانته المتميزة لديه، فأدهم هو الشخص الوحيد المسموح له بدخول القصر في أي وقت، وكان يشرف بنفسه على تنظيف القصر من الداخل، وترتيب الغرف، وله أن يستعين بمن يشاء من فلاحات القرية تحت رقابته وإشرافه التام، دون تدخل حامد أو ابنه، بل ويشرف على إعداد الطعام لهم، وكان يقوم غالباً بتحديد مواعيد تقديم الطعام لهم، وربما يقدم الطعام في حضوره، وكان يقوم بكل ذلك بنظام وبأسلوب يشبه الحركة الميكانيكية، وكانت خطواته في المشي منتظمة، تشبه الخطوة العسكرية وبخفة وسرعة في الوقت نفسه، ولا تكاد تسمع وقع أقدامه رغم كونه طويل القامة، عريض الكتفين، لأنه كان مع ذلك نحيفاً،

خفيف الجسم، سريع الحركة، يبدو بشعره الخشن المنسق بعناية شديدة كمن يستعد لحضور اجتماع هام، وكانت هيئته تلك لا تتغير أبدًا.

وقد حضر أدهم بمجرد سماعه صوت السيارة، وكان حسانين البواب يغلق باب الحديقة بعد دخول السيارة واستدار مستعدًا لتلبية طلب شاهين في اللحظة التي انفتح فيها صندوق السيارة فرأى أدهم ما فيها، ولشعوره بخصوصية الموقف فقد نظر لحسانين نظرة صارمة جعلته يتسمر في مكانه مرتبًا، ثم حمل بنفسه الصناديق من السيارة وأدخلها إلى القصر، ووضعها بسرعة في مطبخ القصر، مع الاحتفاظ بزجاجة واحدة في غرفة شاهين كل ذلك دون أي تعليق، ليكون هذا الموقف عنوانًا للمرحلة الجديدة من علاقتهم، فهو الأب البديل، كاتم الأسرار، والأمين على الخبايا، والمسئول المباشر عن جميع مصالحه.

بدأت حياة شاهين وحيدًا في القصر الضخم، وليس له رفيق إلا زجاجة الخمر التي لا تفارقه، ويقضي الأيام الطويلة لا يرى أحدًا سوى أدهم، الشخص الوحيد الذي يدخل القصر في أوقات يقظته التي تبدأ من استقرار الظلام في الليل حتى سخونة الشمس في الصباح، بالإضافة إلى إدارته لشئون الأرض والعزبة، خاصة بعد أن تم تعيينه حارسًا قضائيًا على أموال القاصر شاهين من محكمة الأمور المستعجلة لحين بلوغ

القاصر سن الرشد، فلم يكن شاهين يثق في أحد سواه، ومن جهة أخرى فقد كان جميع الفلاحين في العزبة ينفرون من شاهين لسوء طباعه، ويتحاشون حتى لقائه فقد كان سليط اللسان، متكبراً لدرجة لا تحتمل.

وفي الوقت نفسه، قد كان أدهم حصيماً في إدارة شئون العزبة، ويقوم بحل جميع المشاكل بسرعة وحزم، فسيطر تماماً على جميع الأمور، ساعده في ذلك شخصيته المسيطرة التي جعلته يمسك بكل الخيوط في يده.

حدث ذات مرة أن توجه أحد الفلاحين، ويدعى عبد المنعم الصاوي إلى شاهين ليطلب منه تجهيز مخزن جديد للبطاطس بعد أن زاد محصولها في ذلك العام عن الأعوام السابقة، وكان عبد المنعم رجلاً كبيراً في السن، له مكانة متميزة بين أهل القرية، نظراً لسنه ولما يفعله دائماً من التطوع للخير والإصلاح بين الناس، ورغم ذلك فحين عرف شاهين بأنه يطلب لقاءه قال لأدهم:

- عايز إيه ده .. عايز يدخل هنا !!؟
- عايز سعادتك في موضوع، عايزين يعملوا مخزن في وسط الأرض.

فقام شاهين بسرعة، ووقف في شرفة القصر مخاطبًا عبد المنعم الذي كان واقفًا بحديقة القصر ينتظر الإذن بالدخول إلى القصر ..

- عايز إيه يا راجل أنت ..
- يا سعادة البية، المخازن مش واخدة البطاطس.
- يعنى أبوظ الأرض وأبورها علشان أخزن المحصول - ضاحكًا - قالوا لك عليا صعيدي، ولا يمكن فلاح عبيط زيك !
- كده .. الله يسترك يا بيه.
- امشي يا راجل أنت بلاش هبل.
- آسف يا بيه .. وعمومًا معادتش تتكرر.

ويستدير الرجل عائداً وهو مطاطئ الرأس مذهولاً مما حدث، فقد سمع كثيراً عن صفاقة شاهين وسوء خلقه، ولكنه لم يتصور أن يكون لهذه الدرجة.

شاعت قصة الحاج عبد المنعم بين الأهالي، وتعاطفوا معه ومما ساعد على انتشارها أن أدهم أمر ببناء ثلاثة ضخمة لتخزين المحصول، واستعان في بنائها بكثير من أبناء القرية، وكان لهذا الأمر بالغ الأثر ليؤكد للجميع أن أدهم هو الأمر الناهي بعد وفاة كبيرهم حامد الزعفراني.

انتشرت القصة على كل لسان، فقصة عبد المنعم كانت هي قصة كل يوم وحديث القرية، وزادوا عليها من خيالاتهم الكثير والكثير، وكلما مروا بالبناء الجديد ذكروا القصة التي أكدت سيطرة أدهم على مقاليد الأمور وعلى شاهين نفسه، وأكدت الواقع الجديد، أن أدهم هو الحاكم الفعلي للقرية، ولا يوجد لأحد سلطان عليه، وأن فكرة اللجوء إلى شاهين باعتباره صاحب المال فكرة عديمة الجدوى، ولن يحاول أحد من أهل القرية أن يشكو أدهم لشاهين بعد موقف عبد المنعم، بل ابتعدوا عن شاهين تمامًا وتجنبوه.

استمرت حياة شاهين على هذا المنوال، لا يختلط بأهل القرية، ويقضي يومه نائمًا في القصر، ولا يصحو إلا بعد حلول الظلام، فإذا قام لا يبرح القصر إلا مستقلًا سيارته إلى القاهرة، ساهرًا في أحد الملاهي الليلية، ولا يعود قبل الساعات الأولى من النهار، أو يقضي الليل داخل القصر، يحتسي الخمر والمخدرات أمام الإنترنت ومواقعه المشبوهة، دون رفيق أو جليس.

كان لا يدخل عليه القصر سوى أدهم بمفرده أو بصحبة من يستأجره من الشباب لأعمال التنظيف والطهو وخلافه التي كانت تتم في فترة نومه التي تمتد طوال النهار، حيث لا تجرؤ أي سيدة على دخول القصر حتى أثناء النهار، خشية القيل والقال في قرية صغيرة كتلك

القرية، بعد أن أصبح يسكنه شاب أعزب، وحيد،
سوء السلوك والسمعة.

استمرت الحياة على هذا النحو لمدة تزيد عن ثلاثة
سنوات، لم يختلط فيها شاهين بأحد سوى أدهم الذي
كان لا يفارق القصر إلا لوقت قصير لقضاء مصالح
القرية، وكان لا يفارق القرية نفسها إلا لمدة يومين كل
شهر مستقلاً سيارته الخاصة، ليزور أسرته المقيمة في
كفر الشيخ التي تبعد مسيرة ساعة تقريباً عن القرية،
حتى جاء يوم أخبروه أن زوجته تعاني آلام الوضع،
وقد نقلوها إلى المستشفى، فاستقل سيارته مسرعاً
مضطرباً لدرجة أنه لم يخبر أحداً عن وجهته، وقد
تملكه شعور غريب من القلق حين تذكر ما عانته
حبيبته في ولادة طفلهما الأول سمير، واستقرت صورة
حبيبته أمامه كأنها مثبتة على زجاج السيارة، تنظر إليه
وتبتسم، تلك الابتسامة التي اعتادها وطالما احتاجها
مداداً لروحه ومصدرًا للقوة التي تعينه على مواجهة
التحديات والاضطرابات، فلا تضيق به الدنيا حتى
تنيرها له كلمات محبوبته الصابرة، وحين يراها
بوجهها المستدير الذي تتوسطه الغمازتان اللتان
عشقهما، ولمستها الحانية وكأنها يد طفل رضيع تمسح
عنه همومه وتنزل عنه أثقاله .. لماذا يفكر في كل
هذا ؟!

إن الخواطر تكاد تعمي عينيه عن الطريق حتى وصل إلى كفر الشيخ وهو يكاد لا يرى الطريق أمامه، حتى اكتشف ما أخفوه عنه .. إن الجنين مات في بطنها.

أما شاهين فقد استيقظ عند غروب الشمس كعادته، ولم يجد أدهم في القصر، فظن أنه انصرف لقضاء أحد مصالح القرية، رغم أن ذلك نادرًا ما يحدث في هذا الوقت المتأخر، وانتظر عودته ولكن دون جدوى، واستمر غياب أدهم عن القصر لمدة أربعة أيام.

وفي اليوم الخامس استيقظ شاهين في موعده فوجد أدهم ولكنه فوجئ بوجود طفل في حديقة القصر ...

- أدهم .. كنت فين .. ومين ده ؟!
- مراتي تعيش أنت، فأنا سافرت البلد دفنتها وخذت العزا ورتبت أموري وجبت معايا ابني سمير، ها يقعد معايا بعد إذنك .. مالوش حد بعد وفاة أمه.

وبالفعل أقام الولد مع أبيه بالاستراحة الملحقة بالقصر، وكان مثل أبيه من النوع الهادئ لا يُسمع له صوت.

كان الطفل جميلًا ورث عن أمه لون البشرة مع العيون العسلية الواسعة، بالإضافة إلى الشعر الذهبي الناعم، وقد أثار جمال الطفل دهشة شاهين وغيرته ..

- هذا الفلاح ابن الفلاحة يكون جميلاً كالأوروبيين،
وأنا ابن الإيطالية ورثت عن أبي كل شيء حتى
ارتخاء الجفون، بل زدت عليه بارتخاء الجفنين
وورثت بشرته وشعره الخشن.

وبالفعل، فإن شاهين كان نسخة من والده، ولم يرث عن
والدته إلا وجهها المستطيل.

استمرت حياة أدهم الذي انشق قلبه من الحزن، فلم
يتوقف عن النزيف يوماً، من الألم والعذاب على فراق
حبيبته، وكثيراً ما حدّث نفسه:

- حبيبتي وفاء، كم أشتاق إليك، وكم أشتاق إلى أدهم
الذي عرفته معك، والذي كنته بين يديك!

وإذا خلد إلى فراشه يستمع إلى أنفاسه، وكأنها ترثي
محبوبته، وأن جفونه تصارع الدموع التي تلح عليها
في الانفجار، ويظل على حالته تلك لا يخرجها منها إلا
النظر إلى ذلك الملاك الجميل الذي رزقه الله به،
وجعله يلتقط من أمه الحبيبة ملامحاً في الوجه والطباع
حتى أنه قد اكتسب منها بعض اللفتات والحركات،
وتبدو ابتسامته تشبهها كثيراً أو هكذا خيل إليه،
فيحتضنه بحنان بالغ محدثاً نفسه:

- والله يا بني ما أنا عارف أنا اللي بأعوضك عن
أمك ولا أنت اللي بتواسيني!

وتتلاحق الخواطر في رأسه من خواطر ينزف لها قلبه وأخرى يثبت بها نفسه ليقوى على أداء دوره، فيكون سنداً لهذا الكنز الذي رزقه الله به ومتعه برؤيته، ليكون الشذى المنبعث من هذا الجسد الطاهر البريء وأنفاسه الدافئة بمثابة معزوفة حانية يهدأ لها اضطراب قلبه الذي تعتصره الأحزان ويضطرب لها وجدانه المشقوق، فما إن يفوز بتلك الكف الصغيرة الناعمة كخد الجنين، الدافئة كحضن الأم، حتى تستقر نفسه وتهدأ أنفاسه وتستسلم أجفانه المنيعه، فيسترخي جسده وتعرف عيونه طريق النعاس.

استيقظت القرية ذات يوم على معركة ضخمة داخل أحد الغيطان^١ بين فريق من الفلاحين يضم إبراهيم اللقاني، شقيق عوض الجنائني القصر، وفريق آخر يضم عمر بن حسانين البواب، تطايرت فيها العصي وتبعثها بعض المناجل^٢، وسال على أثرها كثير من الدماء.

لتلك المعركة أسباب كثيرة، من الخلافات حول الاعتداء المتبادل على مساقي الأرض المشتركة، بالإضافة إلى ما حدث في اليوم السابق بينما كان عوض الجنائني يعد الشاي ليشربه بصحبة صديقه

^١ تعريف للأرض الزراعية، شائع في الريف.

^٢ أداة لقطع البرسيم والحشائش، مقوسة على شكل نصف دائرة، ومشرشرة النصل من الداخل، وحادة جداً.

عبد العزيز، ويتهامسان ضاحكين حتى قدم حسانين
البواب لينضم إليهم.

قال عوض ضاحكاً:

- تصدج يا عم حسانين الواد عبعزيز بيجول إن
الراجل لازم يتجوز ثلاث نسوان .. أنت إيه
رأيك؟ ولا أنا بأقول لك ليه يا عم .. أنت ليك فيه،
ده مراتك هي اللي عايزة تتجوز عليك.

فانفجر ضاحكاً، وأيده صديقه، بينما احمرّ وجه
عم حسانين، وعقب قائلاً:

- تصدج إنك جليل الحيا .. لما تتمسخر على واحد
جد أبوك، ما هو لو أمك نبوية عرفت تربيك بدل
ما هي دايرة تخبز في كل دار يوم، وتخبص^٣ في
كل حنة بكلمة، كنت بجيت راجل.
- بتجيب سيرة أمي يا شايب، ياللي مراتك فاضحاك
عند كل دار شوية.
- أنا اللي راجل ناقص إني بأقعد مع عيل منسون
زيك .. اتفوووو.

همّ عوض ليضرب عم حسانين، لولا تدخل عبد العزيز
الذي حمل صديقه صغير الحجم ورفعاه عن الأرض

^٣ كناية عن الفتنة ونقل الأخبار.

واندفع به خارج أسوار القصر وهو ينهال بأبشع الشتائم على خصمه العجوز الذي بادلته الألفاظ النابية على مرأى ومسمع من الجميع، ولم ينته الموقف إلا بتدخل أدهم الذي يوقره الجميع، وتوقفوا عن التشاحن بمجرد ظهوره.

وفي المساء اجتمع أهل القرية في دار المناسبات لعقد جلسة صلح بزعامة أدهم، وحضور الطرفين ولم يتأخر عنها البواب والجنائني بطبيعة الحال فالموضوع تشعب بين واقعة القصر وواقعة الغيط.

استيقظ شاهين في تلك الليلة من نومه في موعده المعتاد وكان الليل قد فات منه وقت غير قليل، وبعد أن تناول طعامه بدأ في ممارسة هوايته المفضلة، فتجرع الكأس تلو الأخرى، وكان شرباً في تلك الليلة بصورة غريبة، فشرب زجاجة كاملة في مدة أقل من ساعة، وقام من غرفته إلى المطبخ ليحضر زجاجة أخرى، ودخل إلى المطبخ وبحث، فلم يجد أي زجاجة من الخمر، فقام بتغيير ملابسه وخرج حتى الباب الداخلي للقصر، وبمجرد خروجه منه رأى الطفل سمير يقف داخل أحد أحواض الزهور التي بناها أدهم في شرفة القصر لتحيط به من كل جانب، ويا للهول فقد كان الطفل يقف فوق الورد ويقطف منه، منحنياً بينما تحرك سرواله بمقدار ضئيل كشف عن جزء صغير من مكان حساس

في جسده الطفولي، وكانت فكرة رؤية شاهين له في هذا المنظر بالنسبة للطفل فكرة مرعبة لأن شاهين كان مهووسًا بالورد لأقصى درجة، فأفزعه بأن صرخ بأعلى صوته:

- سميـر ...

ففرع الولد، وقفز من حوض الزرع بقفزة واحدة هربًا إلى حديقة القصر، لكن شاهين نزل من سلم القصر بأقصى سرعة، وتجاوزه بقفرتين وجرى وراء الطفل حتى أدركه وأمسك به، وكان الطفل يمسك بيده سرواله الذي سقط عنه أثناء القفز، ونظرات الفرع الرهيب تبدو عليه من بطش ذلك الوحش الدميم الذي يعرف هوسه بالورود، ولم يتسع خياله البريء لما يمكن أن يذهب إليه ذلك العقل الذي أفسده الخمر وأتلف خلاياه إدمان عقاقير الهلوسة كالريفو تريين والترامادول، لكن الطفل سيطر عليه شعور الحمل الذي يقع بين براثن ذئب جائع، فنظرات الجوع التي تنطلق من عيون ذلك المسخ القذر ليس لها تفسير في ذلك العقل البريء إلا إنه سيألتهمه بلا تردد كحيوان مفترس، فبدأ في الصراخ إلا أن عاجلته يد شاهين الضخمة على فمه، والطفل يقاوم بكل قوته ويحاول الفكاك من تلك القبضة الجهنمية التي غطت فمه وأنفه يغلقهما حتى لا يئن بأنفه فيلقت الأنظار، بينما الوحش يلتفت يمينًا ويسارًا باحثًا

عمّن يمكن أن يراه في المكان، فإذا ما تأكد حتى امتدت يده الأخرى تحاول نزع السروال عن الجسد الطاهر الذي بدأ ينتفض انتفاضته الأخيرة تحت تلك القبضة التي كتمت أنفاسه دون أدنى شعور سوى أفكاره القذرة، فلمّا سكن الجسد الملائكي رفع المعتوه عنه يده ظناً أنه استسلم، لكن الصغير سقط على الأرض بغير حراك، فارتبك الذئب وأسرع يعيد سروال الطفل إلى مكانه، وهو يتمتم:

- الواد ده ماله .. ياالدي المصيبة !!

فزع شاهين وجحظت عيناه من هول الموقف، لقد مات الولد .. ماذا يفعل؟! وماذا سيفعل والده؟! انه لم يخشَ أحدًا في حياته قدر خشيته وخوفه من أدهم .. نعم، كان يخاف دائماً من أدهم، يخاف من نظراته، يخاف من غموضه، لأنه دائماً كان يشعره أنه أقوى منه بهذا الصمت وهذا الغموض، فلم يجد أمامه حلاً سوى أن يحمل الولد الصغير على يديه، ويضعه في صندوق السيارة، ويخرج مسرعاً من بوابة القصر، وطار بسيارته مسرعاً مغادرًا القرية والأفكار تدور في رأسه مضطربة، وقال محدثاً نفسه:

- طبعًا ما ينفعش كنت أحطه في العربية على الكنبه أحسن حد يشوفه، وأنا مش عارف الحكاية ها ترسى على إيه، طب أنا هاوديه المستشفى،

طبيب لما يسألونى في المستشفى إيه اللي حصل ؟!
لا، لا .. أنا ها أروح في داهية.

وظل على حالته يسير على غير هدى حتى تفتق ذهنه
أن يسير بسيارته إلى الطريق الصحراوي ويترك الجثة
هناك، بعد أن يدفنها في الرمال ويعود إلى والده، وكأنه
لا يعلم شيئاً عن اختفاء الولد، والفعل نفذ خطته
الوحشية، وعاد إلى القصر قبل طلوع الفجر - قبل
موعد عودته المعتاد بساعتين على الأقل.

دخل إلى القصر مرعوباً من فكرة مواجهته لأدهم، تلك
المواجهة التي ارتعدت لها فرائصه، والتي بذل كل
ما في وسعه للهروب منها، ولكم كانت سعادته حين لم
يجد أدهم في انتظاره عند عودته، فتنفس الصعداء
وسارع الخطى إلى غرفته ليغلقها عليه مدعيًا النوم،
وبعد ساعتين دق باب الغرفة، ليأتيه صوت أدهم من
وراء الباب:

- شاهين بيه .. شاهين بيه، لو سمحت ..

شاهين لا يرد، رغم أنه مستيقظ في سريره، وتمر
دقائق طويلة عليه تمنى فيها أن يبأس أدهم من عدم
الرد وينصرف، لكن هيهات فقد ظل صابراً ومتحملاً،
ويواصل الطرق على الباب.

- شاهين بيه ..
 - أيوه ..
 - من فضلك افتح، عايز أقول لك على حاجة.
- يفتح الباب وهو يفرك عينيه متصنعاً النوم ..
- خير ؟!
 - الواد سمير ..
 - ماله ؟
 - مش موجود، حضرتك ما شفتوش ؟
 - أشوفه فين، ها يكون عندي يعنى ؟! روح يا راجل دور على ابنك.
 - يا بيه أنا خرجت امبارح، وأنت كنت نايم، وهو كان في الشقة تحت بيتفرج على التلفزيون.
 - أنا صحيت ما لقيتكش لا أنت ولا هو.
 - طب يا بيه آسف .. عن إذنك.
- ويخرج أدهم مغلقاً الباب خلفه، وهو يتساءل:
- أين ذهب الولد ؟!
 - اتخطف ؟ يمكن هرب .. طب ليه ؟!
 - هرب مع مين ؟! معقولة دي ؟!!
- وبقي أدهم يضرب أخماساً في أسداس، ويقلب الأمر على جميع الوجوه، لا يجد تفسيراً.

أما شاهين، فقد شعر بارتياح أخيرًا بعد ليلته العصبية، وحاول النوم لكن هيهات أن يعرف النوم طريق عينيه، وهو في كل هذا الرعب ممن ينتظره بالخارج، وظل يتقلب في سريره على هذا النحو ساعات طويلة، يسعى إلى النوم ويتوسل إلى عينيه أن تغمضا لكنها تأبى أن تطيعه وتستسلم للخوف، الخوف من عقاب أدهم.

وبعد ساعات، بعد أن فشلت جميع محاولاته، خرج من غرفته، خرج وعيناه تبحث عن أدهم، ويتمنى من أعماقه ألا يلقاه، وبالفعل انفرجت أساريره حين لم يجد أدهم في القصر حتى أنه غادر القصر سريعًا خوفًا من عودته، غادر القصر حتى دون أن يتناول أي طعام وركب سيارته متوجهًا إلى دمنهور التي تبعد عن قريتهم مسافة ساعة تقريبًا ليتناول إفطاره المبكر وجلس على أحد المقاهي، وكان جهاز التلفاز يذيع أحد الأفلام الأمريكية المرعبة، وقد شد الفيلم انتباهه ولم ينفك عنه حتى انتهى بعد ثلاث ساعات كاملة، ودار في مخيلته لو أن أدهم اكتشف ما حدث ..

- يكتشفه إزاي؟! !! .. مستحيل !

لم يستطع شاهين مقاومة رغبته في النوم رغم خوفه، كما لم يستطع أن يقاوم فضوله لمعرفة ما يحدث عن قرب، فعاد أدراجه إلى القصر وكان الليل قد قارب على الدخول، حيث يخيم الليل مبكرًا في مثل هذا الوقت

من شهر أبريل، وما إن دخل غرفته حتى وجد في انتظاره مفاجأة يشيب لها الولدان وتتخلع لها قلوب الرجال .. شبح، نعم .. شبح الطفل سمير داخل الغرفة ينظر إليه، وهو يبتسم .. يا للهول !

فاندفع شاهين مذعورًا يجري كمن أصابه المس، لا يدري كم مضى من الوقت وهو يجري بأقصى سرعة، متوجهًا إلى سيارته التي انطلق بها مصدرًا صوتًا عاليًا تردد صداه في أرجاء المكان، مدويًا في هذا الوقت المتأخر من الليل، وطار بسيارته مغادرًا القرية، ومنها إلى الطريق الصحراوي حيث دفن جثة الطفل، ليتأكد من وجود الجثة، وكانت الأفكار تدور في رأسه ..

- معقولة الواد ما ماتش، واللي حصل ده كله كان حلم ؟ ولا مات وده عفريته ؟!
يا نهار أسود .. عفريت، ها يطاردني لحد ما يخنقني ويخلص عليا.

وظلت الأفكار تراوده، لا يعرف مصيرًا حتى وصل إلى مكان الجثة، وبدأ الحفر، فلم تظهر الجثة.

- راحت فين ؟!! يمكن تحت شوية ..

يواصل الحفر ..

- يمكن الحكاية كلها حلم .. راحت فين ؟!

الحفر يتواصل، حتى شعر ببعض البلبل تحت قدمه ..

- رباه ما هذا ؟!

الجثة تحت قدميه، نعم .. فقد وضع بعض المياه على التراب ليساعده على تسوية التربة، ولتهبط فوق الجثة، وقد أخطأ المكان من شدة اضطرابه، ربما لرغبة دفينه داخله لتكذيب الأمر كله.

لم يشعر بالشفقة على الطفل، ولم يهتز له جفن تحت سلطان المشاعر الإنسانية، إنما هو خوفه وذعره من انتقام الأب أدهم، ولكن ما دامت الجثة مكانها، إذا ما هذا الذي رآه ؟!

المؤكد أنه خياله المضطرب .. نعم، خياله والأشباح التي تطارده منذ الطفولة، خاصة أن عينيه لم ترَ النوم منذ الليلة السابقة.

- أكيد أنا محتاج أنام .. طيب أغير الأوضة، القصر فيه أوض كثير .. أيوه ها أغير الأوضة.

عاد إلى القصر متوجهاً إلى غرفة نوم أخرى من غرف القصر الاثنى عشرة، وبالفعل دخل الغرفة وأضاء نورها، ويا للهول لما رأى .. إنه الشبح، إنه يطارده، نفس النظرة الباردة التي خلعت قلبه، وأشعلت نيران

الرعب في جسده، فأطلق ساقيه للريح، وقفز داخل السيارة، ويده المرتعشة لا تقوى على إدخال مفتاح السيارة في موضعه.

وبعد جهد واضح استطاع السيطرة على المفتاح، وأدار المحرك، لكنه لا يستطيع التحكم في عجلة القيادة بيديه الغارقتين في العرق الذي غطى جسده، وبدأ يتساقط على عينيه، فتمتد يده لتمسح العرق عن جبينه، كل ذلك والسيارة تنطلق بسرعة جنونية، والأفكار تترنح في رأسه كأشباح تتراقص أمام عينيه، فلم يعد يقوى على التركيز، بل إنه فقد قدرته على التمييز من هول ما رأى .. ما هذه الأشباح؟!!

فطالما تخيل العفاريت والأشباح قبل ذلك، لكن لم يصل خياله إلى رؤيتها رؤي العين.

- ده مش عفريت واحد، لا .. كمان دي عفاريت
علشانى أنا، ها تموتني، ها تموتني.

كل تلك الأفكار تطرق رأسه طرْقاً، وهو ينطلق بسيارته إلى أبعد نقطة، بعيداً عن العفاريت والأشباح.

انطلق حتى وصل إلى القاهرة، وهناك توقف بسيارته أمام أحد الفنادق الفاخرة، وولج إلى الداخل، وهو يمشي كالمنوم مغناطيسياً إلى حيث موظف الاستقبال بالفندق، وما إن وصل إليه حتى رمقه الأخير بنظرة ازدراء،

وبدا عليه الامتعاض الواضح، فقد كان شاهين بحالة يرثى لها، ملابسه متسخة، وشعره أشعث، لا يقل قذارة عن ملابسه، وعن الرائحة البشعة التي تسبق خطواته.

- لو سمحت، عايز أوضة.

- لمين ؟ .. ليك !!؟

فانتبه شاهين لمظهره الرهيب، وأخرج من جيبه بطاقة صرف آلي، وناولها للموظف ..

- احجز لي أحسن سويت - جناح خاص - عندكم.

- لا مؤاخذه يا فندم، بس اسمح لى .. سعادتك زي

ما تكون حصل لك حاجة، تحب نطلب لك المستشفى أو حاجة زي كده ؟

- لا يا فندم - ساخرًا - ممكن تطلب لي محل هدم

كويس يجيب لي حاجة تنفع، وأنا ها أطلع السويت بتاعي، وتبعت لي الهدوم عليه ؟

- سعادتك ما معاكش شنط ..

- لا، ما فيش .. السويت منين ؟

أنا محتاج أرتاح بسرعة، وخلي حد يدخل العربية بتاعتي الجراج بتاعكم.

- هو سعادتك قاعد معانا كام يوم ؟

- تفرق معاك في إيه ؟!

- النظام كده يا فندم ..

- طيب يا سيدي، ها أدفع لك شهر مقدم، في حاجة ثانية؟!
- لا ، بطاقة سيادتك علشان البيانات.

فناولته البطاقة وهو متململ بوضوح، سائلاً:

- خلاص كده؟!
- أيوه يا فندم، امضي لي هنا من فضلك، واتفضل مع العامل ها يوصلك السويت، بس بعد إذنك ها أخلّي الكريديت كارد معايا في الاستقبال لحد ما تيجي الملابس اللي حضرتك طلبتها، وأحاسبهم عليها، وها أبعثها لسعادتك، مع الفواتير على السويت.
- ها أستناها ..
- تحت أمرك.

وبالفعل كانت إقامته في ذلك الفندق بمثابة الملجأ الآمن، فقد وجد فيه حلاً لجميع مشاكله، إقامة مريحة، بعيداً عن الأشباح، الأشباح التي تركها بالقصر ولكنها لم تتركه، فكانت تزوره في أحلامه لينهض من النوم مذعوراً فيتسعين عليها بما تعرف عليه من أنواع العقاقير المخدرة، إضافة إلى الخمر الذي توطدت علاقته به في هذا الفندق، حيث كان الدور الأرضي به يحتوي على بار رائع، تذوق فيه أجود أنواع الخمور، بالإضافة إلى صالة للقمار .. إنها بالفعل تسلية مثيرة،

فكان يهرب من مخاوفه باللعب، فيقضي وقتًا طويلًا كل ليلة وهو يلعب القمار حتى الساعات الأولى من الصباح ولا يتوقف عن ابتلاع أكبر كمية من الخمر والمخدرات حتى يستطيع النوم.

ظل شاهين على هذه الحالة، يقضي نهاره نائمًا، ويقضي ليله في صالة القمار، يحتسي الخمر حتى اكتشف ذات ليلة أن الرصيد قد انتهى، فقد سحب مبالغ طائلة خلال الفترة التي قضاها في ذلك الفندق.

الغريب أن شاهين لم يكن كثير التنقل، حتى أنه طوال مدة إقامته بالفندق - والتي تجاوزت الشهرين - لم يغادر الفندق إلا لمرات قليلة جدًا وعلى فترات متباعدة.

فاصطدم شاهين بهذا الموقف الذي لم يتعرض له طوال حياته، بل إنه لم يخطر له ببال قبل ذلك، ماذا يفعل؟! لقد أنفق مبالغ طائلة في المدة التي قضاها بالفندق، وخسر بأرقام فادحة في القمار اللعين ..

- ما العمل ؟ أتصل بأدهم ؟!

اتصل بالمحمول الخاص بأدهم، الهاتف يرن ولا أحد يجيب، الغريب أن أدهم لم يحاول الاتصال به طوال الفترة السابقة، ليس هناك غريب على هذا الأدهم، فقد اعتاد أدهم دائمًا ألا يزعج شاهين باتصاله خلال رحلات شاهين الليلية التي اعتاد عليها قبل تلك الرحلة

الأخيرة، لكن الوضع مختلف هذه المرة، فقد استمر الغياب أكثر من شهرين.

ظلت الأفكار تراوده، والهاتف يواصل الاتصال دون جدوى، ماذا يفعل؟!

- لازم أرجع العزبة أعرف إيه اللي حصل، أدهم راح فين؟ إيه اللي حصل في القصر؟!

بالفعل عاد إلى العزبة، وحين اقترب من القصر شعر ببرودة تسري في جسده ..

- أنت لسه خايف؟! عفاريت إيه؟!

بس بلاش هبل .. آمال إيه اللي شفته ده؟!

معقول في سنك ده وجسمك ده مرعوب من عيل عنده سبع سنين، لأ وشبحة .. مش هو !
الله يخرب بيت البلاوي اللي لحست دماغك.

وحين دخل من بوابة القصر وجد كل شيء طبيعيًا، ما هذا؟! القصر مظلم تمامًا.

فتح الباب الداخلي، وامتدت يده المرتعشة لتضيء أنوار البهو الرئيسي للقصر، فانطلقت الإضاءة قبل أن تلامس يده المفتاح .. ما هذا؟!

ما زالت الأوهام تعذبه، فدخل متوجسًا حتى وصل إلى المرأة الموضوعة في بهو القصر، ويا لها من كارثة، من هذا الذي ينظر في المرأة؟!

إنه والده .. حامد الزعفراني، ينظر في المرأة فيجد والده، فيتراجع للخلف وهو يصرخ مفزوعاً، ويستدير ليرى ما أفقده صوابه بل وأطار عقله تماماً، من هذا الذي يقف أمامه في بهو القصر قادماً من القاعة الجانبية .. من هذا ؟!

إنه هو .. نعم هو .. شاهين نفسه !

المفاجأة أخرجت صوته، لم يستطع النطق، ولم يزد على أن تسمر في موضعه كتمثال حجري بعينين مفتوحتين، إلا أن أطرافه تهتز كمن مسّه تيار الكهرباء، ومفاصله تصطك، يكاد يسمع صوتها دون أن يملك لإنقاذها شيئاً، وأنفاسه لا يستطيع السيطرة عليها، فنتسارع وتتسارع دون توقف، وهو ممدد على الأرض متصل بجهاز رسم القلب الكهربائي، والشبيه يضغط على صدره بقوة ضغوطات متتابعة بجهاز تنشيط القلب تطول أحدهما بعد الأخرى، ليقوم الجهاز عن طريق الصدمات الكهربائية بتعطيل دقات القلب، ولم يتوقف إلا بعد إصدار جهاز رسم القلب إشارة النهاية، بعد أن أurdاه قتيلاً، بالسكتة القلبية.

ثم حدث نفسه:

- أخيراً يا أدهم كملت مهمتك، من دلوقت تقدر تعيط وتتوجع على ابنك اللي راح، اللي قتله الحيوان ده، دلوقت أدهم ما بقالوش وجود.

أدهم كان موجود بس علشان سمير يفضل له أب،
 دلوقت سمير مش موجود، والموجود أب حياته
 ما لهاش معنى ولا مستقبل، وكان في شخص
 تاني ما لوش قيمة .. عبارة عن دمية فارغة.
 أبوه رباه علشان يكون جسد بلا روح أو مشاعر،
 هو في الحقيقة ما رباهوش، إنما كان بيستمع بيه
 لنفسه ولنرجسيته، فكان هذا المسخ.
 إزاي يقتل طفل بريء .. إزاي عذبني وأنا مش
 عارف طريقه ؟!

تذكر أدهم خطته الجهنمية .. فقد دارت شكوكه عند
 اختفاء ابنه حول شاهين، وأراد أن يتأكد ويعرف مصير
 ابنه، فوضع جهازًا إلكترونيًا متطورًا على زجاج نافذة
 الغرف وخزن عليه صورة الطفل سمير حتى إذا دخل
 شاهين أي غرفة وأضاء نورها تظهر الصورة له
 وكأنها مجسمة داخل الغرفة، عبر الزجاج المستورد
 الذي جلبه حامد خاصة للقصر من نوع خاص يسمح
 بالرؤية من الداخل فقط، كما يسمح بدخول الشمس.

كان الزجاج يبدو من الخارج باللون الفضي، ليتناسق
 مع اللون الفضي للمبنى الذي صمم على شكل اسطوانة
 كاملة الاستدارة، كما وضع كاميرا صغيرة على المرأة
 الجانبية للسيارة الخاصة بشاهين، على كل مرآة واحدة
 لتسجل تحركه بعد أن يشاهد صورة الطفل على زجاج

الغرفة، وشاهين نفذ المطلوب منه حرفياً، فمجرد انزعاجه لرؤية الطفل أكد عليه التهمة.

ثم تابعته الكاميرا لتحدد مكان دفنه للطفل، ثم هرب شاهين كالفار المذعور لمدة كانت كافية لإتمام الخطة بدقة، فسافر أدهم إلى الصين لإجراء جراحة تجميل دقيقة جعلته نسخة متطابقة تماماً مع شاهين !

ساعده على ذلك أنه كان ضخم الجثة كشبيهه، الاختلاف الوحيد أن شاهين الحقيقي كان سميناً بدرجة ملحوظة، فاتباع أدهم نظاماً غذائياً خاصاً أوصله للشكل المطابق تماماً، كما أجرى جراحة لحنجرته جعلته يتقمص صوت شاهين تماماً، ليحل محله في كل شيء، ويحكم على أدهم بالفناء من الدنيا بعد وفاة من كان يعيش لأجله - ابنه سمير.

حانت ساعة الصفر باتصال شاهين به، فقد كان أدهم بصورته الجديدة يقيم في شقة مجاورة للفندق الذي يقيم فيه شاهين، ويستعمل سيارة تطابق نفس سيارة شاهين تماماً، حتى أنه ركب عليها لوحات معدنية بذات الرقم، ليتسنى له أن يعود للقصر كل يوم وكأنه شاهين، فيدخل في الصباح لبيت في القصر، حتى لا يلاحظ أحد من أهل العزبة غياب شاهين، وساعده على ذلك طباع شاهين الذي يقضي نهاره نائماً ولا يغير تلك العادة أبداً.

بمجرد أن رأى الاتصال على الهاتف، توجه إلى جراج الفندق حيث تبيت سيارة شاهين، ولم يلفت وجوده أي انتباه، فمن سيندهش إذا رأى صاحب سيارة يتوجه إلى سيارته؟!!

كل ما كان عليه أن يغافل حارس الجراج، ثم يفتح صندوق السيارة بالمفتاح الذي اصطنعه من قبل لهذا الغرض ويختبئ داخله، حتى يصل إلى القصر دون أن يشاهده أحد من أهل القرية فيكتشف وجود اثنين شاهين، وما عليه الآن سوى إزالة الصورة المجسمة التي وضعها من قبل موضع المرآة في بهو القصر تمهيداً لإخافة شاهين حين يرى والده في المرآة، وحمل الجثة داخل الحقيبة التي أعدها خاصة لهذا الغرض، بعد أن قام بطلاء الوجه بمادة مستخرجه من أملاح التربة تساعد على تحلل الجثة، وانطلق حيث يمكن استخراج شهادة وفاة باسم أدهم المتوفى وفاة طبيعية، فيراقب الجثة بالكاميرا التي أعدت لملاحظة تحلل الجثة، والمبرمجة بحيث ترسل تقريراً يومياً بالبريد الإلكتروني عن اللقطات التي يتم تصويرها بصورة منتظمة كل ساعة، حتى إذا ما اختفت معالمها، حان وقت إعلان الخبر، بعد أن فقد أي سبب للإبقاء على أدهم في الوجود.



مست

الكاتب في سطور



- حازم مختار خليفة.
- محامي مصري.
- من أبناء مدينة دسوق، محافظة كفر الشيخ.
- تتميز كتاباته بالتعرض للأمراض الاجتماعية.
- تعد روايته جريمة أب أول إصداراته.



من إصدارات مؤسسة زعمة للكتاب



الشعر والمخاطرة :

- لابس وش : علاء أحمد
- فعشقت مجددًا : أحمد لملوم
- امرؤ الهلس : إسماعيل علي
- إنسان فالصو : محمد الشحات
- فأنت تفاح أخضر : عبد الرحمن حميدة
- ضل ونور : لمياء عامر
- تراتيل عاشقة : شاهنده الزيات
- ثورة عاشق لم تكتمل : محمد أبو ذكري
- وجع الحنين : هيام الجمل
- أبجدية حب : كواعب البراهمي
- لك الحب : إيمان زايط
- حب في زمن حزين : السيد حسان
- فراغ عاطفي : على نمر
- ضل ونور : لمياء عامر
- هلاليات : عبد الرحمن الهلالي
- الشتاء الأخير : آية على الشاعر
- مني لك : عبلة موسى، خالد غازي

- سكتة حب : عبلة موسى
- خلطة مطبعية : إيهاب الكيلاني
- خارج دواير الانتظار : أحمد رامي عبدالله
- ١/٢ كدر : عثمان عبدالمنعم
- لسه! : رفيدا حسن
- كلمات تروي حكايات : محمد العدلي
- خيال يرتب ألفاظه : د. محمد عبدالله الشيخ

الرواية والقصة القصيرة :

- استربتيز : منة الله رأفت
- الصامتون تحت الأرض : هبة حمدي
- المواجهة الملعونة : محمود شاهين
- العذاب الحلو : سالي غانم
- للأحلام اسم آخر لا نعرفه : محمد صلاح المصري
- طائر في الظلام : إيمان عبد الخالق
- هن : ولاء بيومي
- رجل ضد العالم : سمير زكي
- (HIV) من مذكرات مثلي : علاء أحمد
- للخطايا ثمن : محمد أبو خلف الله الجعفري
- جريمة أب : حازم خليفة

الكتب المراجعة :

- تيليجرام : شعر
- سيلفي : شعر
- سيجا : شعر
- صف ثاني : شعر
- قلم رصاص : شعر
- ترابزين : شعر
- بارانويا : شعر
- بيانولا : قصة قصيرة
- ألوان : قصة قصيرة
- نيكتوفيليا : خواطر
- إنسانوبيكيا : شعر وخاطرة وقصة قصيرة

المقال والدراسات :

- مداد في حب الوطن : د.أحمد السعدي
- يا سكر : كريم عمرو، ياسمين التمامي
- كيميا الحب : سارة حسين
- لا مؤاخذه : أحمد مرسي
- مدن مصر المحروسة (حتمية الموضع، إمكانية الزمان) : على محمود العبادي
- شرائع محرمة : كواعب البراهمي

لطلب إصدارات مؤسسة زحمة كُتَاب للثقافة والنشر،
زوروا مقرها في : ١٥ شارع السباق، مول المرييلاند،
مصر الجديدة، أو زوروا موقعها الإلكتروني لمعرفة
أماكن التوزيع على مستوى الجمهورية، والدول
العربية.

للتواصل :



www.za7ma-kotab.com



www.facebook.com/za7ma



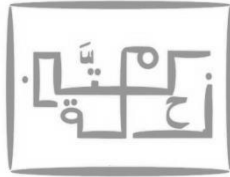
www.facebook.com/za7makotab



za7ma-kotab@hotmail.com



٠١٢٠٥١٠٠٥٩٦



مؤسسة زحمة كتاب للثقافة والنشر

زحمة كُتَاب .. القدره قرار!